من النار حتى
برزوغ الكنف
مريم شحات

العمل: من النار حتى بزوغ الكنف.

الكاتب: مريم شحات.

غلاف: صلاح الدين نعيم.

تنسيق: محمد رمضان السيد.

رواية

من النار حتى بزوغ الكنف

مريم شحات

إهداء

إلى مَن يُعاني هنا، إليك هذه القصة لتخلع عنك رِداء حُزن الواقع وترتدي رِداء حُزن الخيال.

فالحُزن يلحق بنا أينما كُنا عزيزي القارئ لا مفر منه، كُل الطُرق تُؤدي إليه، إليكَ هذه القصة، وأتمنى من صميم قلبي أن تنال إعجابك.

إن أصبتُ بها فهذا من فضل ربي، وإن أخطأت فكل بني آدم خطاء، هذه القصة لتهرب من واقعك المُؤلم وتدلف لخيالٍ رُبما يكون مؤلمًا أيضًا؛ لأن لا سعادة هُنا، هُنا حيث تستقر الآلام وتُدفن الآمال والأحلام.

إذا كنت لا تستطيع التحكم في عبراتك؛ فلا أنصحك أن تقلب الصفحة.

- مريم شحات.

دائمًا يكون الواقع مؤلمًا؛ فلا نجد مهربًا منه سوى الخيال.

في غابة شاسعة وهادئة، كان هناك صبيٌّ يحمل بين يديه قِدرًا مليئًا بالماء، كان يترنح في سيره بسبب ثقل القدر، ولكنه يتمالكُ نفسه من أجل والدته التي لا يملك غيرها الآن بعد وفاة والده منذ أعوام، اقترب من كوخه الذي كان بسيطًا كحياته تمامًا، كان مصنوعًا من الحجر الأبيض وأمامه بحيرة صغيرة ومن حولهِ المناظر الطبيعية تطلع عليه من كل شبر، هنا في الغابة البعيدة عن عالم البشر المقزز الخائن، كان يحيا مع والدته في سلام دام لأعوام، كان في الحادية عشر من عمره، فتح الكوخ ثم ولج وحينها استنشق رائحة الطعام المُعتاد، طعام بالخضراوات والأعشاب، لَمْ يعترض على حياته وأبدًا لم يكُن ناقمًا على العيش، كان راضيًا فيكفي أن والدته معه، فما حاجته لشيءٍ آخر؟

نظرت له والدته ببسمةٍ حنون، فاقترب منها ثم وضع القِدر على الأرض الصلبة ولثم وجنتها كعادته.

- ديليشيا، اشتقتُ لكِ حينما كنت أحضر الماء.

- أنا أيضًا اشتقتُ لك يَا صغيري.

- أنا جائع والطعام يبدُو شهيًا؛ لأنكِ من قُمتِ بطبخه.

ضحكت "ديليشيا" ثُمّ قالت بعدما أمسكته من أذنه:

- أيها الصغِير المَاكِر، تعرف كيف تجعلني ابتسم.

تأوه ثم نظر لها بتذمرٍ وقال:

- اتركي أذني.

تركتها "ديليشيا" ثم وضعت الطعام في طبقين؛ واحد لها وآخر لهُ، ثم جلسا على الأريكة المُتهَالكة بفعل الزمن، كان الكوخ بسيطًا ومتهالِكًا قليلًا؛ فالجدران بها بعض التصدعات، والأريكة الوحيدة هنا تالفة بعض الشيء، المطبخ بسيطٌ حيثُ تُشعل ديليشيا النار لتقوم بطهو الطعام، والبِرم كانت ترتص على الأرض الصلبة، كان بسيطًا ولكنه كان دافئًا، يكمن الدِفء في الأماكن البسيطة أحيانًا، أمَّا الطعام فلم يكن سوى طبخة بالخضروات والأعشاب.

انتهى "داميانوس" من طعامه ثم نظر إلى والدته التي لم تُنهِ طعامها وقال بتعجبٍ:

- أمي، لم تُنهِ طعام.

- تركتُ البعض لك؛ لأنك ستشعر بالجوع في الليل.

- ولكن...

- لا تقلق يا داميانوس، لقد شبعت.

نظر لها "داميانوس" بشكٍ ولم يتحدث، ثم نظر من النافذة فوجد أن الليل أسدل ستاره واحتل القمر السماء، ذهب لأمه ثم وضع رأسه على فخذها وسألها:

- أمي، لِمَ لا نذهب للقرية لنرى شيئًا جديدًا؟

وضعت يدها بين خصلاته الحمراء التي تشبه خاصتها ثُمَّ أجابت:

- أحيانًا يجب علينا الاختباء؛ لأننا قد نُواجه مصيرًا مُؤلمًا ومجهولًا.

- لِمَ لا نُغامِر ونتعلم من ذلك المصير؟ أتدرين؟ سِرت في الصباح كثيرًا حتى أنني وصلت إلى نهاية الغابة وكِدتُ أخرج منها لأستكشف ما يوجد بخارجها، ولكنني خشيتُ تركيكِ وعدم تمكني من العودة.

قال حديثه بعدما رفع كتفيه، فقالت بحدةٍ:

- ألم أخبرك ألّا تتخطى حدُود الغابة يا داميانوس؟

- ولكن لِمَ؟ لِمَ لا يجب عليّ تخطي حدود الغابة واستكشاف ما يوجد بخارجها؟ يا أُمِّي أحب الغابة وحديث الطيور معي، ولكنني أريد الحُرية، أشعر أنني مُقيد في عالم لو رحلتُ منه كأنني ارتكبتُ فاحشة كُبرى.

تنهدت "ديليشيا" ثُمّ قالت ببسمةٍ:

- تُشبه والدك؛ كان مُغامِرًا ويُقلقني عليه في كل مرة يتخطى حدود الغابة ويظلُّ خارجها لأيام وأيام، ولكنه كان يعُود ويروي غليل مُهجِي ويفرخ روعِي عليه ولكن...

أغمضت عينيها فانسابت عَبْرة مِنها بأسى،فاعتدل "داميانوس" ثم أزال دمعتها وابتسم لها بحنوٍ.

- ولكنه لم يَعُد آخر مرةٍ ذهب فِيها خارج الغابة، كان والدك خلَّاسًا، لما طال غيابه تمنيت عودته بقلبٍ مُنفطِر ولكنه توفي هُنا على حدود الغابة حينما كان عائدًا، لا بأس فليست كل الأماني تتحقق.

- ولكن يا أُمِّي أرى أن المُغامرة مُمتِعة، أُريد أن أفعل شيئًا مُختلِفًا.

ربتت "ديليشيا" على وجنته بحنوٍ ثُم قالت:

- ليس الآن، حينما تُتِم الثامنة عشر، أعدك أن نخرج في جولة سريعة خارج الغابة ونعود مجددًا.

شهق ثم قال:

- سأنتظر سبعة أعوام!

ابتسمت بخفةٍ ثم قالت بمكرٍ مُضحك:

- أعتقد أنه أفضل من أن تنتظر باقي الحياة صحيح؟

رمقها بحنقٍ ثم عاودت بسمته للظهور حينما قال بنبرةٍ تستشعر الدفء بين كلماتها:

- أتدرين يا أُمِّي؟ أحيانًا أشعُر أنني أنتمِي إلى الغابة بطريقةٍ ما، لا أدري هل لأنني لَمْ أرَ غيرها منذ ولادتِي أم لأنني حقًا أُحِبها، رُبما ليس لي غيرها ولكنني أشعر في كل مرةٍ أسيرُ بها أنها تُربت عليّ بحنوٍ وزهورها الزاهية الجميلة التي تفوح منها رائحة عَطِرة، الفراشات التي تُحلق فوق الزهُور بأجنحتها البرَّاقة اللامعة، الأعشاب التي أجمعها بحب، الأشجار التي تتحرك أغصانها برقةٍ كُلما هبّت الرياح، الحيوانات التي أستمتع بحكاياتها الدافِئة ومغامراتها، القطة زيتونة التي تُرِكت هنا مُنذ أعوام كثيرة، الأرنبُ اللطيف الذي لَمْ أستطع حتى الآن إطلاق اسم عليه، أُحبه وأشعر معه بالأنس، السناجب وهي تُساعدني أحيانًا، الغابة

موطني وكم أريد لو أظل بها حتى مماتي ولكن روح المغامرة بي تدفعني دفعًا لأن استنشق الهواء خارج الغابة.

لاح شبح ابتسامة على وجه "ديليشيا" التي قالت بنبرةٍ حنون:

- كانت ريڤال هكذا تُحب التجول في الغابة، وتُعامل الحيوانات بحنوٍ ولُطف كما تفعلُ أنت..

نظر لهَا "داميانوس" ثم سألها:

- ألن تأتي لزيارتنا مع ديلان مرة أخرى؟

انمحت بسمة "ديليشيا" ثم نظرت بشرودٍ للسماء وأجابت:

- رُبما يأتيان قريبًا يا داميانوس، لا أحد يعرف ما يُخبئه القَدر بين طيات الأيام.

تثاءب واقترب من " ديليشيا " ثُم قبّل يدها وقال بنعاسٍ:

- سأخلد إلى النوم يا أمي، تصبحين على خير.

ابتسمت لهُ فولج غُرفته التي تحتوي على فراش ليس سيئًا كان يُحبه، خلع ثيابه ثم ارتدى أخرى، كانت قد قامت ديليشيا بِجِياكتها لهُ منذ فترة ثم ارتمى على فراشه وغاص فِي سباتٍ عمِيق.

***

في الخارج، كانت "ديليشيا" تنظر من النافذة إلى السماء وعَبْراتها مُحتجزة بداخل مقلتيها وعادت ذاكرتها إلى نقطة بعِيدة جدًا.

عودة إلى الماضي:

كانت تقِف أمام الكوخ وتحاول أن تحمل قدر الماء ولكنها لم تستطع بسبب ثقله، ظلت تنظر للقدر بتذمرٍ فجاء صوت ضحكات عرفت صاحبها على الفور، التفتت له فكان زوجها الذي اقترب من مكان وقوفها ثم وقف بجانبها وأعطاها الأعشاب والفواكه التي جمعها ثم أخذ القدر منها وولج إلى الكوخ، وضع القدر المليء بالماء على الأرض ثم التفت لها وقبّل جبينها، ابتسمت لهُ فانحنى ثم وضع يديه على بطنها المنتفخة فلم يشعر بحركة الصغير.

نظر لها في تذمرٍ وقال:

- لِمَ لا يتحرك؟

- يخجل مِن التحرك وهناك أحد يتابعه!

قالتها بمزاح فرمقها بيأسٍ ثُمَّ قال بحنوٍ:

- لا تحملي القِدر؛ فهو ثقيل يا ديليشيا..

أومأت له ثم أخذت الأسماك التي جلبها في الصباح والأرز وبدأت في الطبخ وهو ينظر لها مبتسمًا ثُمَّ أعطته الطبق الخاص به فتناوله بهدوءٍ وكذلك هيَّ، وحينما انتهيا أخذت الطبقين ثم غسلتهما بالماء الذي أخذته من القِدْر.

كان "أركون" يجلس على الأريكة وهو مغمض عينيه مِن فرط التعب؛ فقد كان يعمل في تقطيع الأخشاب والذهاب بها خارج الغابة لأيام لبيعها ثم يعود مرة أخرى، وقد عاد في الصباح ثم دلف إلى الغابة ليحضر الأعشاب، اقتربت منه ثم جلست بجانبه فضواها إليه فأغمضت عينيها في سلام حينما شعرت بالدفء يغمُر أضلعها.

نظر لها "أركون" ثم قال ببسمةٍ هادئة:

- أُحبك.

- دائمًا؟

- دائمًا.

- حتى تقع أسناني؟

ابتسم "أركون" ثُمَّ قال بحنوٍ بعدما اختلَّس من وجنتها اليُمنى قبلةً عمِيقة:

- حتى تقع أسنانك جنيتي.

ابتسمت "ديليشيا" ثُمَّ شعرت بحركة الصغير فوضعت يد "أركون" على بطنها وحينما شعر بحركة صغِيره ابتسم بلهفةٍ ثم قال:

- لقد تحرك!

أومأت لهُ "ديليشيا" فاتسعت بسمته حتى كادت تصل إلى أذنه ومال على بطنها وقال:

- أنا أبوك يا صغيري، أُحبّك، حسنًا؟

ثم شدَّ من ضمه لجسد زوجته بين ذراعيه وأغمض كلٌّ منهما عينيه فغاصا في سباتٍ عمِيق.

***

خرجت "ديليشيا" مِن ذكرياتها على سقوط دموعها، أغمضت عينيها لتمنعها من استرسال نحِيبها ولكنهَا لم تستجب فتركتها تُمطِر مع الغيث الذي سقط أثناء شرودها، تُرىٰ لِمَ لا يعيش المرءُ حياة هادئة بعيدة جدًا عن الألم والشجن؟ لِمَ لا نعِيش حياة هادئة بعيدة عن الحياة؟ لِمَ لَمْ نُولد بعَالمٍ هادئ ليس بِه شِقاق ولَا عَسْف؟ حياتُها هادئة حقًا ولكن ما فائدة الهدوء والحبيبُ غَائِب؟ والمُشتَاق يترنح بين شوق وشجن؟ خائفة جدًا وهيَّ لم يكن في قاموسها شيء يُدعىٰ الخوف ولكنه الآن يوجد بكثرة، ماذا إن رحلت هيَّ الأخرىٰ؟ لمن ستترك صغيرها وكيف سيعيش؟ كانت تُفكر لو أنها تتخلىٰ عن الغابة ولكنها لا تستطيع بعد وفاة زوجها تولّدت داخلها رهبةٌ من البشر حِينما وجدته مقتولًا أمام الغابة، هي لم تترك حقه وقتلت من قتله صحيح ولكن الخوف يقيدها، ما أبشع الخوف حينما يُسيطر علىٰ حياة الإنسان، يُحوله من إنسان حُر إلى سجين خلف قضبان حديدية مُحال أن تنفك.

خرجت من أفكارها علىٰ ألم معدتها فركضت للمرحاض ثم تقيأت فأخرجت كل ما تناولته، غسلت فمها ثم تنهدت بوهن، فهذا حالها مُنذ البارحة تأكل فلا تتحمل ما تتناوله وتتقيأ فورًا وشربت اليوم أعشابًا

لمعالجة الأمر ولكنه رُبما يزداد سُوءً، نظرت لباب الكوخ ثم فتحته وخرجت ليلفح الهواء وجهها، اقتربت مِن البُحيرة ثم نظرت بها لتظهر ملامحها بوضوحٍ رُغم سُّدفة الليل الحالِكة ولكن القمر يُصدِر بعض الضوء الطفيف، نظرت لوجهها الأبيض الذي يُعانقه نمش يكادُ لا يُرىٰ، حاجبيها الرفِيعَان باللون الأحمر وعينيها كزُرقة ماء البُحيرة، أنفها الأقنىٰ، شعرها الأصهب والذي يصل إلىٰ بعد ظهرها بقليلٍ، رُبما هُناك بعد الهالات السوداء أسفل عينولكنها ما زالت جميلة.

تنهدت "ديليشيا" ثُمّ كادت أن تدلف ولكن أتت القطة "زيتونة" فابتسمت لها ثم انحنت وداعبت رأسها بيدها حتىٰ ابتسمت.

- لماذا أنتِ مستيقظة في هذا الوقت يا ديليشيا؟

- كُنت أُفكر بأركون.

قالتها بشوقٍ فنظرت لهَا "زيتونة" وقالت:

- لَا تُؤلِمي مُهجك بالذكريَات، لا يعود المتوفى أبدًا أبدًا.

نظرت لها "ديليشيا" ثُمّ قالت لها ببسمةٍ بعدما أجلستها علىٰ قدمها:

- وكيف عرفتِ يَا زيتونة؟

- أتتذكرين «كاترينا» التي أخبرتكِ عنها حينما جئتِ إلى الغَابة؟

أومأت لها فقالت "زيتونة" بنبرةٍ حنون:

- كانت صديقتي مُنذ الصِغر واعتنت بي جيدًا وفي يومٍ ما توفت جدتها وقد كانت تهيم بِهَا، فسمعتها تحدث نفسها وتقول أن الميت لا يعود أبدًا فهو يذهب للأعلى وبعد مدة مرضت مرضًا شديدًا وتوفت فأخذتني والدتها وجاءت بي إلى هُنا، انتظرتُ «كاترينا» كثيرًا ولكنني تذكرت جملتها أن الميت لا يعود.

ابتسمت "ديليشيا" ثم قالت:

- أنتِ حنون يا زيتونة.

ثمَّ وضعتها على الأرض فذهبت "زيتونة" للمكان الذي تبيت فِيه بداخل شجرة، بينما وثبت "ديليشيا" من على العُشب الصغير ثم دلفت للكُوخ لتغفو.

***

اليوم التالي، الثامنة صباحًا...

يوم جديد بزغت به الشمس في السماء، يوم جميل للبعض وحزين لآخرين، لَمْ يتمكنوا من ترك ذكرياتهم جانبًا والتعامل بلا قيودٍ مع من حولهم، فقيود الذكريات تهيمن عليهم، الجميع يختلفون في كل شيء، الأسماء، المُعاناة، ولكن جميعهم يتفقون أن لا شيء يدُوم، لا سعادة دائمة ولا حُزن دائِم؛ فالحياة متغيرة وهذا هو الحال، جميعنا نُعاني بطريقة ما، فتأقلم.

استيقظت "ديليشيا" على صوت العصافير، اِنتصبت من على فراشها ثم تثاءبت وقامت بتمشيط شعرها الأصهب وخرجت من الغرفة ثُمّ دلفت للمطبخ وأحضرت الإفطار وطرقت غرفة "داميانوس" فلم يجب، دلفت فلم تجده فزعت في بادئ الأمر وركضت إلى خارج الكوخ وكانت ستُنادي باسمه فأبصرته ممددًا أمام البُحيرة وهو يضحك بصوتٍ منخفض حينما تُداعب "زيتونة" وجهه بلسانها، وضعت يدها على قلبها ثم تنهدت واقتربت منهما.

نظر لها "داميانوس" ثم قال ببسمةٍ:

- صباح الخير يا أمي.

- صباح الخير يا صغيري، هيّا لتتناول طعَامك.

أومأ لها ثم هب واقفًا من مكانه وحمل معه "زيتونة" ثُمَّ ولج للكوخ وبدأ في تناول طعامه بجوعٍ شديد، انتهت "ديليشيا" من طعَامِهَا ثُمَّ أخذت الأطباق وغسلتها ثُمَّ جلبت بعض الماء لزيتونة..

- تفضلي يا زيتونة.

ابتسمت لها "زيتونة" ثُمَّ قالت بلُطفٍ:

- شُكرًا يَا ديليشيا.

ابتسمت لها ثم نظرت لداميانوس الذي قال:

- أمي سآخذ القِدر لأجلب الماء، لن أتأخر.

أومأت لهُ ثم أعطته القِدر فخرج من الكوخ مع "زيتونة" التي سترافقه في رحلته للبئر اليوم، وقفت "ديليشيا" أمام الكوخ وبغتة ظهرت بومة بيضاء على قُرب منها ثُمَّ وقفت على كتفها..

ابتسمت لها "ديليشيا" ثُمّ قالت:

- أين كنتِ منذ البارحة يا " لُونا "؟

- كُنت أتجول خارج الغابة.

أومأت لها بتفهم ثُمَّ ربتت على رأسها بحنوٍ وبدأت لونا في قص ما رأته في الخارج وتروي المواقف الطريفة التي حدثت معها فكانت تستمع لها "ديليشيا" وتبتسم بهدوءٍ على ما تسمعه، تركت البومة كتفها ثُمَّ وقفت على جذع الشجرة لتنام.

***

دلفت "ديليشيا" إلى كوخها لتخيط شيئًا لداميانوس، ولكن فجأة ظهر أمامها شخص ما، كانت لديها أجنحة برَّاقة ولامِعة، وشعرها الثلجي ينسدل على كتفها، وملامحها هادئة وحادة فِي الوقت ذاته، كانت تمتلك حاجبين كالثلج وبشرة بيضاء يعانقها نمش خفيف، اتسعت بسمة "ديليشيا" ثُمَّ تركت الحِياكة وعانقت من أمامها بحبورٍ شديد، فبادلتها العِناق ثُمَّ جلستا على الأريكة.

- اشتقتُ لكِ يا ريڤال.

- أنا أيضًا اشتقتُ لكِ، كيف حالكِ؟

- بخير.

- صغيرك الشقيّ يجلب الماء، صحيح؟

- بلى.

ربتت ريڤال على يد شقيقتها ثُمَّ قالت بحنوٍ:

- كارُولينا معه الآن رُبما تكون خفيّة أو على هيئة فراشة كما تعلمين.

تنهدت "ديليشيا" ثُمّ قالت بإنهَاكٍ تبوح بمكنون صدرها لشقيقتها:

- أخشى عليه حينما أرحل، لِمن سأتركه ومع من سيبقى؟ وكما تعلمين عالمنا لا يقبل من كان هجينًا إلا بشروطٍ مُعينة.

تنهدت "ريڤال" ثُمّ قالت:

- لا تستبقِي الحدث وتقلقي بلا داعٍ، ولكن إن حدث لكِ شيء أعدكِ أنني لن أتركه.

ابتسمت لها "ديليشيا" ثُمَّ قالت ونار الصبابة تحرق فؤادها:

- كيف حال أبي وأمي؟

- بخير ويُلقيان عليكِ السلام، كما تقول لكِ أُمي أنها ستأتي قريبًا حينما تهدأ تلك الموجة المفاجئة من الاجتماعات التي أصابتنا في الفترة الأخيرة.

ابتسمت "ديليشيا" ثُمَّ وضعت رأسها على كتف توأمتها وسَكنت مُغمضة العين، مُطمئِنة بجانب نفسها، لطالما كانت "ريڤال" شطر "ديليشيا"

و"ديليشيا" شطر "ريڤال"، كانت كلًا منهما تُكمِل الأخرىٰ وتهدئ من روعها، وتهون عليها معضلات الحياة، تتقاسمان الحُزن معًا كما تتقاسمان السعادة، كانت كلًا منهما ملجأ للأُخرىٰ، كُل شيء آمِن بجوار مَنْ يُحِبك بصدق ويخشىٰ عليك ويهتم لأمرك، فاختر خليلك جيدًا حتىٰ تُبصِر به نفسك.

- لِمَ لا نمرح قليلًا؟

قالتها" ريڤال" ثُمَّ غمزت لها فابتسمت "ديليشيا" ثُمَّ نهضت من مكانها وأغمضت عينيها وتمتمت بعدة كلمات غريبة فظهر جناحان بدِيعَا الشكل بألوانٍ زاهية كالفراشات علىٰ ظهرها، وكانت خصلاتها الصهباء مُتوهِجة ومنسدلة على كتفيها، حلقت بخفةٍ فِي الكوخ ثُمَّ استنشقت الهواء الآتي من النَافذة فلحقت بها شقيقتها وكادتا تخرجان من الكوخ ولكنهما توقفتا وتمتمت كلٌّ منهما بعدة كلمات متماثلة ليمنعوا أحدًا من رُؤيتهم..

كانتا تلعبان كعادتهما مُنذ الصِغر وقبل ترك "ديليشيا" عالمها والدلوف لعالم غريب لا يُشبه العالم الذي خُلقت به، كانت ضحكاتهما تعلو للأُفق و"ريڤال" تصنع كرة من الماء وخصلاتها الثلجية تزداد بياضًا وجسدها يتوهج أثناء استعمالها لقوتها، كانت تقذف الكرة في وجه شقيقتها التي تُقابلها بكرةٍ من النار تحمي بها نفسها ولم يختلف حالها عن "ريڤال" فكانت خصلاتها الصهباء مُشتعِلة ومتوهجة بشكلٍ مُذهل، وأجنحتها تبرق وتلمع في منظرٍ بدِيع تُفتح له الأفواه.

انتهى مرحهما ثُمَّ دلفتا إلى الكوخ مجددًا، وقفت "ديليشيا" على الأرض الصلبة ثُمّ تمتمت بعدة كلماتٍ غريب كنهها فعادت لهيئتهَا البشرية بلا أي أجنحة ولم تعد تتوهج.

نظرت لها "ريڤال" ثُمّ عانقتها بحنوٍ وقالت:

- سأرحل؛ لأن موعد تجمع العائلة الآن كما تعلمين، كُوني حذرة وحافظي على نفسك، إلى اللقاء.

- إلى اللِقاء.

وفي لمح البصر اختفت ريڤال من أمامها وبعد مرور ثوانٍ ولج "داميانوس" للمنزل وهو يحمل القِدر وبجانبه تسير "زيتونة".

وضع القِدر على الأرض ثم نظر إلى والدته وقال ببسمةٍ واسعة:

- جلبتها من البئر كالعادة، هل تتذكري الفراشة بديعة الألوان التي كانت تُحلق حولي؟ رأيتها اليوم ولكنها تركتني حينما وصلت للكوخ.

ابتسمت" ديليشيا" لَا بُد أنها "كَارُولينا" ثُمّ قالت:

- الفراشات جميلة جدًا يَا صغيري، صحيح يا زيتونة؟

- بالطبع.

ثُمَّ خرجت من الكوخ، بينما قال "داميانوس":

- أُريد أن أتجول فِي الغابة.

- وأنا أيضًا.

قالتها ثم أمسكت بيديه وخرجا من الكوخ وكانت في يدها حقيبة صغيرة صنعتها لتضع بِها الأزهار والفاكهة التي تقطفها مِن الأشجار، وكان "داميانوس" يحمل فِي يديه حقيبة أخرىٰ بها بعض الأعشاب الطبيعية التي تُعالج بعض الأمراض حذرًا مِن أي شيء قد يصيبهما داخل الغابة الشاسعة.

كان يركض "داميانوس" بسعادةٍ بَالغة وهو فاتحٌ ذرَاعيه، كان يودُّ التحلِيق والبُعد عَن كُل مَا يُقيده في ذلك العَالِم، بينما أمه كانت تسير بهدوءٍ شديد وهيَ تقطِف الزهُور البيضاء والحمراء، توقف ثم قطف زهرة البنفسج التِي تُحبها والدته وطلب منها أن تمِيل قليلًا، وحِينما مالت وضع الزهرة فِي خصلاتها الحمراء، ابتسمت له ثم أكملا سيرهما حتىٰ توقفا عِند شجرة تمتلئ بفاكهة التفاح فقطفت "ديليشيا" العدِيد وبعدها وجدا فراولة فأخذت منها بكثرة بسبب حُب "داميانوس" لها.

سمعت "ديليشيا" صوت صَهِيل يأتِي مِن الجهة المُعاكسة لسيرهما، رفعت حاجبيها فِي تعجبٍ فهي علىٰ حسب تذكرها لم ترىٰ هنا خيلًا مِن قبل رُغم أنها جابت الغابة مع زوجها مرات عديدة.

اقترب منها "داميانوس" ثُمّ قال بلهفةٍ:

- ديليشيا، أتسمعين ما أسمعه؟ إنه صوت صهيل خيل!

ثُمّ كاد يذهب فأمسكته "ديشيليا" مِن يديه ثُمّ نظرت لهُ بحدةٍ فنظر لها بتعجبٍ قائلًا:

- ماذا؟ رُبما يحتاج إلى المساعدة.

- رُبما ولكن لا تترك يدي، فهمت؟

أومأ لها فذهبت "ديليشيا" معه إلى المكان الذي يصدر مِنه الصوت وحينما اقتربَا وجدا خيلًا يصهل ويتحرك بعُنفٍ وكان أسود كالصرّيم ولديه خصلات سوداء، تركت "ديليشيا" يد ابنها ثُمّ اقتربت بخطىٰ هادئة من الخيل وهي ترمقه بنظراتٍ ثاقبة، وقفت أمامه فنظر لها الخيل ولَمْ يتحرك وحينما همّت أن تضع يدها عليه صهل بعنفوانٍ شديد، جعل "داميانوس" يجفل منه، بينما "ديليشيا" كانت هادئة وهيَّ ترمقه بنظراتها، كاد أن يقترب "داميانوس" من والدته بوجلٍ أن يقوم الخيل بأذيتها ولكنها أشارت له بيدها أن يظل في مكانه فامتثل لأمرها بتذمرٍ.

- لَا تخف، لن أقوم بأذيتك.

قالتها "ديليشيا" بنبرةٍ هادئة تحمل بين طياتها حنوًا طفيفًا، ثم حركت يدها ونظرت للخيل الذي سَكن، وضعتها علىٰ عُنقه تربت عليه بحنوٍ استشعره الخيل ففرت عَبْرات من عينيه.

نظرت له "ديليشيا" وسألتهُ بحنوٍ بالغ:

- لماذا تبكِي يا...

ثُمّ عقدت حاجبيها وتساءلت ببسمةٍ هادئة:

- ما اسمك؟

- أُدعىٰ حيزوم.

عقدت "ديشيليا" حاجبيها بغرابةٍ ثُمّ قالت:

- هذا اسم خيل عربي أعلم هذا جيدًا.

ثُمّ سألته مرة أخرى وهي ترمقه بنظراتها الثاقبة:

- هل هُناك شيء يا حيزوم؟

- مُحاربتي سقطت من علىٰ ظهري وحينما وثبت كانت تترنح من ثُمَّ تعرقلت في صخرة تسببت في جعل قدمها تنزف دمًا، هل يُمكنكِ مساعدتي؟

اقترب "داميانوس" ثُمّ وقف بجانب "ديليشيا" التي ابتسمت له، بينما صهل الخيل بشكلٍ أفزع "داميانوس" الذي تمسك بأمه متسائلًا بحنقٍ:

- أهو يُعاني من الجنون أو ما شابه؟

- اصمت!

ثُمّ نظرت إلى "حيزوم" وقالت بهدوءٍ شديد:

- يُمكنني مساعدتك، هلَّا سمحت لي بالصعود على ظهرك لتأخذني إلى مكانها؟

وافق "حيزوم" وبعد مرور دقائق وصلوا إلىٰ مكان الفتاة، هبطت مِن علىٰ الجواد بخفةٍ بعدما أنزلت "داميانوس"، ثُمَّ اقتربت من الفتاة المُلقاة علىٰ الأرض، وضعت يدها على العِرق النابض في عنقها فوجدته ينبض عاديًا.

وضعت حقيبتها على العُشب ثُمَّ وضعت يدها على جبين الفتاة فوجدت حرارتها مرتفعة قليلًا، نظرت إلى "داميانوس" نظرة فهمها جيدًا فأحضر الحقيبة التي كان يُمسِكها، فأخرجت منها والدته قماشة ثُمّ أزالت الدماء عن قدمها وطهرتها ووضعت قماشة أخرى على الجرح بعدما وضعت عليه بعض الماء بخفةٍ حتى لا تشعر الفتاة بألمٍ ثُمَّ أخرجت بعض الأعشاب وقامت بطحنها بواسطة حجر ووضعتها في كوبٍ من الماء وقامت بتقليبها بالملعقة الخشبية كثيرًا.

نظر "داميانوس" إلى "حيزوم" وسأل بفضولٍ شديد وهو يشير على الفتاة:

- من تلك؟

لم يُجب عليه "حيزوم" فرمقه "داميانوس" بحُنقٍ ثُمَّ قال:

- خيل أحمق.

- يُمكنني ركلك الآن وتجلس على الفراش أسابيع حتى تُشفى.

قالها "حيزوم" بحزمٍ شديد، فازداد حنق "داميانوس" ثُمَّ قال بنبرةٍ هامسة:

- خيل أحمق وذو لسان طويل يحتاج أن يتم قطعه..

أخرج "حيزوم" صوتًا ساخرًا مِن فمه حينما استمع لحديث ذلك الأبله ثُمَّ صب كامل تركيزه على ما تفعله "ديليشيا"، وضعت بعض الماء على وجه الفتاة فبدأت في فتح عينيها رويدًا، ساعدتها على الاعتدال

فأسندت ظهرها إلى الشجرة، ثم طلبت منها أن تشرب هذا الشراب ففتحت الفتاة فمها وما زالت لا تستوعب شيئًا، ساعدتها "ديليشيا" في شرب الأعشاب التي تساعد على تخفيف الحرارة، وحينما أنهته وضعت "ديليشيا" جميع الأشياء في الحقيبة فاقترب منها "داميانوس" ثُمَّ جلس بجانبها فربتت عليه بحنوٍ ثُمَّ حولت أنظارها للفتاة التي أخذت تقريبًا ما يُعادل نصف ساعة فأكثر حتى تستطيع التحرك.

نظرت لها "ديليشيا" ثُمّ قالت بلُطفٍ:

- لقد وجدنا حيزوم يصهل ويطلب المُسَاعدة لكِ وأخذنا إلى حيثُ وجودك فقُمْتُ بمعالجتك حتى تعودين لمنزلك، يمكنكِ طلب الطبيب ليضع لكِ الدواء المناسب، وحرارتك كانت مرتفعة قليلًا فأعطيتكِ بعض الأعشاب الطبيعية والتي أتمنى أن تُذهبها بعيدًا..

ابتسمت لها تلك الفتاة ثُمّ قالت بلُطفٍ:

- شُكرًا لكِ، أنا بخير الآن.

ابتسمت لها ثُمَّ اِنتصبت من مكانها مع "داميانوس"، صهل "حيزوم" ففزع "داميانوس" مرة أخرى فضحكت والدته بيأسٍ، وقفت الفتاة بتروٍ وهي تحاول التوازن فاقترب الخيل منها فوضعت هي يدها على عنقه بحنوٍ وربتت على خصلاته السوداء ثُمَّ قالت:

- أنا بخير يا حيزوم، لا تقلق..

- شعرت بالقلق يتغلغل لأوصالي يا سيرافينا.

قال "حيزوم" حديثه بقلقٍ بالغ وبالطبع لم تفهمه "سيرافينا"، لم يفهمه سوى "داميانوس" و"ديليشيا" التي قالت بنبرةٍ هادئة:

- سنذهب الآن، دُمتِ بخير.

- لحظة.. ما اسمك؟ أنا أدعى سيرافينا.

قالتها الفتاة وهي تمد يدها بودٍ، فسلمت عليها "ديليشيا" قائلة بمحبة:

- ديليشيا.

ثُمّ اختفت عن أنظار "سيرافينا" التي امتطت خيلها الذي ركض بها بسرعة البرق عائدًا إلى قرية أرناتل.

عادت "ديليشيا" وولدها إلى مكانهما قبل سماعهما لحيزوم، فأتت حمامة صغيرة ووقفت على يد "ديليشيا" وأخرى على يد "داميانوس"، ابتسمت بلُطفٍ ثُمَّ قبلت الحمامة وداعبتها قليلًا وكذلك "داميانوس" فرمقهما "داميانوس" مُبتسِمًا بعدما رحلتا، بينما كانت والدته تأخذ الخضراوات لتتمكن من طهو الطعام حينما يعودان للكوخ.

- أمي، لِمَ البشر لَا يمتلكون أجنحة كالعصافير والحمام؟ لما لا يمكننا التحلِيق فِي السمَاء مثلهم لننفض عنا حُزننا، أتعلمين؟ لو كان لدي جناحان بديعان هكذا لحلقت في السماء ليسقط منِي حُزنِي مع كل لحظة أطير بها.

ابتسمت له "ديليشيا" ثُمّ أعطته ثمرة البرتقال ليأكلها وقالت بنبرةٍ هادئة:

- هل تعتقد أن العصافير والحمام سعداء بامتلاكهم لأجنحة؟ رُبما نعم ورُبما لا، أجنحتهم مثلما تجعلهم يبحثون عن رزقهم فهي في نفس الوقت سبب شقاء، فالبشر يصطادون الحمام فيسقط حينما تُصيبه رصاصة مِن سلاح أحدهم، كل شيء هُنا له دور إيجابي وفي الوقت نفسه لهُ دور سلبي، أنت لا ترىٰ الصورة كاملة يا داميانوس فلا تتمنىٰ شيئًا أنت لا ترىٰ جميع جوانبه، لا تتمنى أبًا مثل أب تلك الفتاة التي قالت لك عنه شيئًا جيدًا فلعلها تُخفِي الكثير من جوانب والدها السيئة، لا تتمنىٰ الرفاهية حينما ترى فتاة حياتها مرفهة فرُبما خلف تلك الرفاهية وجع وألم لا يُرىٰ، الصورة ليست كاملة أمامك فلا تتمنىٰ شيئًا إلا وكانت صورته كاملة متكاملة.

ثُمَّ صمتت لدقائق وبعدها قالت بنبرةٍ رصينة وهي تنظر للسماء التي تكاثفت عليها السُحب:

- كما أن كُلًّا مِنا خُلق بطبيعته يَا صغِيري، البشر طبيعتهم أنهم لا يملكون أجنحة ولكنهم لديهم جسد ضخم يستطيع التنقل هُنا وهُناك، الجنيات والجنيون خُلقوا بهيئة البشر ولكن لديهم أجنحة وقوىٰ خارقة وهذه طبيعتهم ولها دور، الطيور خُلقت بأجنحة لتستطيع التحليق بها والبحث عن رزقها ولأنها طبيعتها، الأسد خُلق مفترسًا يأكل ما يقع أمامه؛ لأنه جائع وهذه طبيعته في تناول الطعام، وأريد قول شيءٍ لك الفأر يأكل الجراد والحشرة، والقطة تأكل الفأر، والقطة يأكلها الكلب أحيانًا والكلب يأكله حيوان مُفترِس فلا تظُن نفسك القوي الوحيد هُنا؛ لأن هُناك أقوىٰ وهذه هي طبيعة الحياة، الشخص الضعيف يُأكل حقه من

قِبل القوي وكذلك القوي يُأكل حقه من قِبل الأقوىٰ منه هي دوامة لا مُتناهية، وفي هذه الحياة الضعيف يُهان ويُذل فكن قويًا يا صغيري ولا تقبل بالهزيمة والذُل لأننا ما خُلقنا لنُهزم وما خُلقنا لنكون ضُعفاء، وتذكر دومًا نحن أقوياء بأنفسنا ليس بأحدٍ، لأن الجميع يرحل وتبقىٰ نفسك فقط، ولا أطلب منك أن تكون الأقوىٰ علىٰ الإطلاق ولكن أريدك أن تعرف كيف تأخذ حقك من قبل الأقوىٰ، تفهمني يا داميانوس؟

ابتسم لها حينما استوعب كلامها وعاهد نفسه علىٰ أنه سيُصبِح قويًا كما تريد والدته ثُمَّ قال بحيرةٍ:

- ولكن لِمَ الشخص الضعيف لَا يُحاول أن يكون قويًا؟

- بعضهم يُحاول بالفعل فمنهم من يفشل ومن ينجح، السِر في العزيمة والصبر يا بُني، لن تصبح قويًا في ليلة وضُحاها، لتُصبح قويًا لا تعتمد إلا علىٰ نفسك يتطلب منك هذا جهدًا وعزيمة كبرىٰ، لأنك ستواجه العديد والعديد من الصعاب لتصبح الشخص الذي تُريده، من يفشل بنسبةٍ كبيرة فقد استسلم وفقد الأمل فأصبح كما هو ضعيفًا، ذليلًا، مُهَانًا، يشكله القوي كيفما يشاء وهذا أقبح ما يُصيب الإنسان أن يصبح كما اللُعبة في يد الآخرين، يعيش ويموت جبانًا لا قيمة لهُ، وهناك فئة أخرىٰ تُحاول وحينما تعزم أنها لن تقبل بالذل والإهانة مجددًا وتصبر وتقابل الصعاب بهدوءٍ وتتخطاها ولا تيأس حينما تقع بل تنهض أقوىٰ مما وقعت عليه أولئك هم الفائزون في معركة الحياة الشرسة، الحياة لا يسير معها الضعيف فتُشكله كما تشاء هي بل القوي الذي يُحاربها ويُعاندها، ذلك القوي سيتغلب عليها في نهاية الأمر بسبب عزمه وصبره

وتقبله للصعاب وفهمه لكل مقصدٍ من تلك الصعاب بدلًا من البُكاء والنحيب عند كل موقفٍ يواجهه، فتحلىٰ بالعزيمة والصبر والقوة لتنجو وكما قُلت نفسك ثُمّ نفسك ثُمّ نفسك ثُمَّ الناس، لا تجرح نفسك حتى لا يسهل على الناس جرحها، رمم جراحها، فلا يوجد غيرك دواء لها، حافظ عليها تحفظك هي، نفسك أولًا يَا داميانوس ثُمّ الآخرين ولا أقصد أن تكون أنَانيًا، الأنانية سلوك ذميم ولكن ما أقصده هو أن تعرِف حق نفسك عليك ولا مانع مُطلقًا في قول "لا" طالما الشيء يُؤذيها.

نظر لها "داميانوس" وكان يستوعب كلامها كله؛ فقد كان يتصف بالذكاء منذ الصِغر كما أن "ديليشيا" كانت حريصة جدًا على الحديث معه في أمورٍ أكبر من عمره ليتعلم قبل أن يقع في الشيء كيف يتصرف حينما يقع به.

- أنتِ رائعة.

قالها " بذهولٍ فابتسمت والدته ثُمّ قبلت وجنته وقالت:

- الحياة يا صغيري تُعلم الكثير فاعلم أن دروسها وإن كانت قاسية فهي تجعلك شخصًا ناضجًا، فاهِمًا، إن أدركت الغاية مِن تلك الدروس.

- أعدكِ أن أصبح كما تتمنين يَا ديليشيا.

- لا أريد أن تصبح كما أرغب أنا بل كما ترغب أنت، لا بُد من أن يكون لك هدف تسعىٰ إليه، ما أحدثك عنه هو فقط القليل مِن كيفية فهم الحياة وهذا تعلمته مِن التجارب، لا تنسَ أن تبحث عن ذاتك داخلك

لتعلم ماذا تُريد أن تصبح، وما هي خطتك لتكون شخصًا ناجحًا، قويًا، لَا يُهزم إلا مع نفسه.

عانقها "داميانوس" فشدَّت هي من ضمها لصغيرها وبعد دقيقتين أمسكت يده وقالت:

- هيّا لنعد للكوخ.

ترك يدها ثُمَّ ركض، فركضت هي الأخرىٰ معه في سباقٍ مَنْ يصل للكُوخ أولًا، وصل "داميانوس" للكوخ وكانت "ديليشيا" على بُعد خطوة منه.

- رائع يا داميانوس، أصبحت تركض بسرعةٍ أفضل، اجلب السِهَام والسيُوف من الدَاخل هيّا.

ولج وكان يحمل بين يديه الحقيبتين الأولىٰ التي تخص الأعشاب والماء والزهور والثانية التي جمعت بها والدته الفاكهة وبعد مرور دقائق خرج بالسهام والسيفين، وضع السهام على الأرض ثُمّ أعطىٰ سيفًا لوالدته وأمسك سيفه فِي يده اليُمنىٰ، رفعت "ديليشيا" خصلاتها الصهباء الطويلة ثُمَّ وضعت بها طوق الشعر، وكان فستانها الأحمر قصيرًا فلم تبدله لن يزعجها على كل حالٍ، بينما كان "داميانوس" يقف أمامها مُمسكًا سيفه بقوةٍ وعينه الزرقاء تنظر لها بتحدٍ أعجبها.

أمسكت سيفها بقوةٍ ثُمّ نظرت لهُ وقالت ساخرة:

- أنت مُجرد شخص فاشل تفيد في أي شيء.

نظر لها بثباتٍ لعلمه بما تفعله ثُمَّ ضغط على سيفه واشتبكا فِي تلك المعركة البسيطة بين أُم تُريد طفلها قويًا وشجاعًا وبين صبي يرغب فيما ترغب به أمه، استمرت المعركة بين الاثنين وكانت "ديليشيا" هادئة حتى لا تُحدث في صغيرها جرحًا لأنه مازال صغيرًا ولا يستطيع القتال بشكل كامل، بينما "داميانوس" فكان عنيفًا وحادًا جدًا وهو يقاتلها ولم تذهب نظرة التحدِي من عينيه، ما زال يعلم أنه يستطيع هزيمة والدته رُغم حديثها السام الذي تلقيه علىٰ مسامعه ويثير غضبه.

وقع علىٰ الأرض الصلبة فنظرت له "ديليشيا" بسِخريةٍ وقالت بنبرةٍ لاذعة:

- ألم أخبرك أنك ضعيف ولا تستطيع فعل شيء؟

شعر بالغضب يغمر أوصاله فوثب بعُنفٍ ثُمَّ أمسك السيف وقاتلها مرة أخرى حتى أصابها بجرحٍ عميق في يدها فسالت الدماء منها.

رمىٰ السيف على الأرض ثُمَّ اقترب منها وقال بذعرٍ:

- أمي أنا آسف، لم أكُن أقصد ذلك أقسم.

ابتسمت له "ديليشيا" ثُمّ وضعت يدها على رأسه وقالت بنبرةٍ هادئة:

- لا عليك يَا بُني، لم يحدُث شيء.

دلف للكوخ بسرعة ثُمَّ جلب الحقيبة وأمسك بيد والدته وبدأ في إزالة الدماء عنها ثُمَّ طهرها ووضع بها قطنًا ليتوقف النزيف ثُمَّ اعتذر مرة أخرىٰ.

نظرت له "ديليشيا" ثُمّ قالت بعدما أمسكت يده وهي تنظر في عينيه بقوةٍ:

- لم يحدث شيء يا داميانوس أنا بخير، ولكن يجب أن تتحكم في نفسك وانفعالاتك تحتاج تدريبًا أكثر على هذا، أنصت إليّ ستقابل الكثير يُحبطونك ويقولون لك أنك لا شيء ولا دور لك هنا فِي الحياة، لا تصدقهم ولا تنتبه لحديثهم الذي غرضه استفزازك وتعطيل سيرك نحو الأفضل، تذكر يا داميانوس أن لكل منا دور يفعله، لا أحد يولد ويموت بلا أي دور مؤثر، يجب أن تتيقن من هذا بداخلك حتى لا يغلبك أحد فهمت؟ ثق فِي نفسك واعتمد عليها وتذكر أن تبحث عنها لترشدك للصحيح وإلى ما تريد أنت وليس ما يريد الجميع منك أن تفعل، حينما تخبرك أن لا تفعل كذا فلا تفعله ولا تستمع لكلام من حولك إلا لو كان حكِيمًا ويريد أن يعلمك حقًا، ستقابل كثيرًا من الثعابين يرتدون رداء البشر الطيب والحنون، فشغِّل حدسك وتمعن فِي مواقفهم معك فهم لن يستطيعوا أن يبقوا في زي الطيب الحنون كثيرًا ستظهر طباعهم بعد فترةٍ، لأن الطبع غالب يا بنيّ، صدق حدسك فهو دائمًا يصيب.

- سأفعل يا أمي.

ابتسمت له ثُمّ قبلت جبينه وقالت وهي تمسك بيده:

- سأطهو الطعام ثُمَّ تتناوله، وبعدها ستذاكر دروسك.

أومأ لها بحماسٍ، صحيح هو لم يذهب للمدرسة ولكن والدته تعلمه في المنزل ولا تقصر في هذا أبدًا، دلفا للكوخ فقامت بطهو الطعام ثُمّ وضعته أمامه فتناوله بشهيّة مفتوحة.

حينما انتهيا قالت:

- اجلب ورقك وانتظرني هُنا حتى أغسل تلك الأطباق.

أومأ لها ثُمَّ دلف لغرفته وجلب الأوراق وكذلك هي انته ممّا تفعله، جلست بجانبه على الأريكة ثُمَّ أمسكت الورق والحبر وبدأت في إعطائه درس اليوم فكان يتفاعل معها في كل شيء تقوله وبعد مرور ساعتين رُبما كانت قد انتهت، كاد أن يدلف لغرفته ولكنه انتبه من النافذة لوجود حريق.

قال بوجلٍ وهو ينظر للحريق:

- أمي الأشجار تحترق!

اِنتصبت "ديليشيا" بسرعةٍ ثم أغلقت النافذة وأدخلته غرفته وقالت بحزمٍ:

- لا تخرج يا داميانوس، سأرىٰ الأمر وأعود.

- ولكن...

رمقته بحدةٍ ثُمّ قالت:

- ابقَ لن أقول حديثي مجددًا.

ثم أغلقت باب غرفته وخرجت من الكوخ، تمتمت بكلمات ما فتحولت لجنية وظهرا جناحاها البديعان علىٰ ظهرها، وتحولت خصلاتها لحمراء قاتمة وكذلك ثيَابها ثُمّ حلقت فِي الأعلىٰ ونظرت نظرة ثاقبة فوجدت النار تلتهم الأشجار، غضبت وكادت أن تندفع من يدها قوتها ولكنها تحكمت في غضبها بصعوبةٍ بالغة، كانت ستتمتم بعدة كلمات مرة أخرى ولكن ظهرت أمامها "ريڤال" و"كارولينا".

نظرت "ديليشيا" لـ"ريڤال" وسألتها:

- ماذا حدث؟

نظرت لها "ريڤال" ثُمّ قالت بغضبٍ هادر:

- دخل بشريون الغابة وقاموا بحرق الأشجار، سأسحقهم أولئك الحمقىٰ.

تنفست "ديليشيا" بعُنفٍ ثُمَّ أمسكت بزمام نفسها والتفتت ناحية "كارولينا" وقالت:

- كارولينا، أرجوكِ أبقي متخفية بجانب داميانوس، أعلم أنه سيحاول الخروج فرأسه صلب للغاية.

أومأت لها "كارولينا" ثُمَّ دلفت للكوخ ومن ثُمَّ غرفة "داميانوس" فوجدته يشتعل غضبًا وهو يحاول فتح الباب ليرىٰ "ديليشيا".

بينما في الخارج نظرت" ديليشيا" لـ"ريڤال" وسألتها بهدوء:

- أين جنيات الماء والثلج؟

- علىٰ وصول، لن يمر ذلك الحدث مرور الكرام.

ثُمَّ طارت وبدأت في استعمال قوتها لإطفاء النيران المشتعلة فِي الغابة، بينما في نفس اللحظة ظهر في السماء موكب مَهِيب مِن الجنيات والجان وعلى رأسهم كانت الملكة "ديلان"، هبط الموكب على الأرض بسكون.

نظرت لهم "ديلان" ثُمَّ قالت بنبرةٍ حازمة:

- إلىٰ عملكم.

ثم نظرت إلى "ديليشيا" وقالت لكي تطمئنها:

- سيتم السيطرة علىٰ الأمر.

ابتسمت لها "ديليشيا" ثُمَّ سألت باستفسار:

- وماذا عن البشريين؟

تحولت بسمة "ديلان" الهادئة إلىٰ بسمة مُخيفة وقالت:

- لا شيء، سأرسلهم إلى عالم الجنيات.

نظرت لها "ديليشيا" باستغراب ثُمَّ قالت:

- أمي! سيقومون بقتلهم.

- أقصد سأقتلهم هُناك، سأقوم بإرسالهم لوحش المملكة 'آرسيان' ، هذا بالفعل إن لم تقتلهم أختكِ!

- لدي يقين تام أنها ستقتلهم وتترك لكِ واحدًا أو ثلاثة، أنتِ تعرفينها يا أمي إنها تصل لذروة غضبها حينما يتعلق الأمر بالغابات، كنت أتمنى لو كان بإمكاني المساعدة ولكن قوة النار إن استخدمتها سيزداد الأمر صعوبة.

- معكِ حق، وأنا مثلكِ.

- أين أبي؟

- لديه اجتماع طارئ، فتوليتُ أنا الأمر.

ابتسمت لها، مَرَّ الوقت سريعًا وعادت "ريڤال" مع الجميع وقد تم السيطرة على الأمر بأكمله.

نظرت لهم "ديلان" ثُمَّ قالت:

- أين هُم؟

كانوا أكثر من عشرة أشخاص ولكنهم وضعوا أمامها اثنين فقط، نظرت إليهم بتعجبٍ ثُمَّ حولت نظرها لابنتها التي تظاهرت بالغباء وهي تنظر للسماء، فلتت ضحكة عالية مِن "ديليشيا" حينما أدركت ما فعلته شقيقتها.

نظرت "ديلان" لابنتها ثُمَّ سألتها بحُنقٍ:

- أين بقيتهم؟

ابتسمت "ريڤال" ثُمَّ قالت ببسمةٍ واسعة:

- يُحاسبون الآن.

نظرت لها بحُنقٍ ثُمَّ قالت:

- لا فائدة منكِ، غضبكِ مُميت.

لم تُبَالِ "ريڤال" بل ازدادت بسمتها اتساعًا، نظرت "ديلان" إلى العشيرة وأمرتهم بالعودة إلى الوطن فاختفوا جميعًا في لمح البصر، اقتربت من "ديليشيا" وعانقتها طويلًا فبادلتها "ديليشيا" العناق بروحٍ مِشتاقة لعناق أمها..

أخرجهم من تلك الحالة رؤية خاطفة لنيران في الكوخ، فزعت "ديليشيا" ثُمَّ تمتمت بنفس الكلمات فاختفى الجناحان وعادت لهيئتها البشرية وكذلك فعلتا "ريڤال" و"ديلان".

ركضت إلى الكوخ ودلفت إلى غرفة ابنها الذي وقف مذهُولًا وهو ينظر إلى يديه، ابتلعت ريقها وهي تتمنى ألا يكون حدث ما في عقلها ولكن تبخر أملها حينما نظر إليها "داميانوس" وقال بدهشةٍ:

- أُمي، لقد خرجت نار من يدي للتو، لا أعرف كيف ولكن أقسم أن هناك نار خرجت مِنها!

لم تجب عليه "ديليشيا" فلم يسعفها لسانها للتحدث واكتفت بالنظر إليه، اقترب منها ثم قال بحذر:

- أُمي، هل تصدقينني؟ أُقسم كانت هُناك نار تخرج منها.

خرجت "ديليشيا" من فقاعة صمتها قائلة بشيءٍ من التيه:

- أصدقك يا داميانوس.

وفِي تلك اللحظة لاحظ "داميانوس" "ريڤال" وهي تنظر له ببسمةٍ وكذلك "ديلان"، صرخ بسعادةٍ ثُمَّ ركض وعانق جدته فبادلته العناق بحنوٍ وقالت:

- اشتقتُ لك.

- أنا أيضًا كثيرًا.

ثُمّ نظر إلى "ريڤال" وذهب لعناقها، فانحنت هي ثُمَّ قالت:

- كيف حالك أيها المحارب الخلَّاس؟

- بخير.

ثُمّ سأل والدته حينما تذكر أمر الغابة:

- أمي، ماذا حدث للغابة؟

- حريق بسيط ولكن تم السيطرة عليه.

ثُمَّ خرجت من الغرفة وخرجت معها والدتها، بينما "ريڤال" ظلت مع "داميانوس" الذي يقص عليها إنجازاته وكيف خدش والدته في يدها وكانت هي تنصت له.

كانت تقف بصدمةٍ أمام والدتها وتقول:

- كيف حدث هذا؟! ألم يكن البشري الهجين يرث قوة واحدة من أمه أو والده؟!

- ولكن هناك حالات نادرة كانت ترِث قوتين أو أكثر.

- إذن هو ورث مني التحدث مع الحيوانات وفهمهم، وكذلك النار؟

- رُبما، لن تظهر قوة النار بشكلٍ كامل إلا حينما يتم الثامنة عشر مِن عمره.

- وماذا سأفعل الآن؟ فهو فضولي وذكي وسوف يسأل من أين أتت تلك النار.

- سينبغي عليكِ قول الحقيقة يا ديليشيا.

- ولكن يا أمي، أخشى عليه فهو ما زال صغيرًا.

- كان يجب لهذا أن يحدث.

تنهدت بتعبٍ ثم سألت بقلقٍ بالغ:

- ماذا إن حدث لي شيء؟

- نحن معه وإن كان لن يستطيع دلوف المملكة إلا حينما تظهر عليه العلامات المُختارة سأترك معه ريڤال هُنا حتى يكون مؤهلًا لدلوف عالمنا.

نظرت إليها ثُمَّ قالت بشرودٍ في كوب الماء أمامها:

- عالم الجنيات أو عالم السَّحرة .

- أنتِ تعلمين جيدًا أنه عالمنا نحن وإن كان به بعض السَّحرة الذين لا ينتمون لعشيرتنا، فكان بسبب الحرُوب التي نشبت بيننا وبينهم وكانوا أولئك من أصدقهم وأشدهم وفاءً وتيقنا من نقائهم قبل انضمامهم لعالمنا.

- أعلم يا أُمي.

وبعد قليل ظهرت "كارولينا" في نفس اللحظة التي خرج بها "داميانوس" من غرفته فقال بشكٍ وهو يعانقها:

- أنتن جميعكن هُنا اليوم؟ هل أصابتكن الحمى؟ لَمْ أعتد على هذا التجمع المريب.

ضحكن جميعًا ما عدا والدته التي اكتفت ببسمةٍ صغِيرة، نهضت "ديلان" ثُمَّ نظرت إلى "ريڤال" و"كارولينا" وقالت:

- تأخر الوقت هيّا لنرحل..

ثُمَّ قبلت حفيدها على وجنته وخرجت من الكوخ مع "ديليشيا" و"داميانوس" ليودعنهم وحينما دلفا الاثنان تحول كلٌ منهم لطبيعته وعادوا لعالمهم مرة أخرىٰ بعدما أعادوا للغابة روقانها بواسطة السِحر.

بينما في الداخل تنهدت "ديليشيا" ثُمَّ دلفت لغرفتها وأبدلت ثيابها لأخرىٰ ثُمَّ طرق الباب فقالت:

- ادلف يا داميانوس.

ولج "داميانوس" ثُمَّ ركض إليها وجلس في أحضانها فسألته وهي تُلاعب خصلاته الحمراء:

- ألن تغفو؟

- اشتقتُ للنوم بين ذراعيكِ يا أمي، أشعر بالأمان.

تمعنت في وجهه فعلمت أنه يريد أن يقول شيئًا فسألت مرة أخرى وهي ترمقه بنظراتها المتفحصة:

- ما الشيء التالي الذي تود قوله أو السؤال عنه؟

- في الحقيقة، أريد أن أعرف لماذا خرجت نار من يدي، وما سر هذا التجمع المُريب حينما كادت أن تحترق الغابة وكيف عادت جميلة كأنها لم تحترق؟

- تريد أن تعرف الحقيقة؟

أومأ لها فنظرت له بحنوٍ ثُمَّ قالت بنبرةٍ مرتجفة:

- أخفيتُ عليك أمرًا ما طوال تلك السنين، كنت أنتظرك لتكون مُدركًا لما أقوله، ولا بد أنه جاء الوقت لقول السر فهل.. هل ستحزن مني؟

نفى "داميانوس" برأسه ثُمَّ قال بتفهم وثقة:

- لا، لأني أثق بكِ وأعلم أنكِ ما أخفيتِ هذا الأمر إلا لأنه لم يحِن الوقت بعد للبوح به.

ابتسمت "ديليشيا" ثُمّ ذهب عقلها لنقطةٍ بعيدة جدًا وقالت بشرودٍ:

- في عالمٍ آخر لا ينتمي للبشر وُلدت أنا وريڤال كنا توأمتان متشابهتان في الملامح ولكن نختلف في القِوىٰ، كان هناك جناحان بدِيعان علىٰ ظهرنا الصغير، كنا صِغارًا في عالم الجنيات، نعم يا صغيري عالم الجنيات، لَمْ أنتمِ للبشر ولم أكن مثلهم بل أنا في الأصل جنية مِن عالم الجنيات الخيالي كما يعتقد البعض ولكنه لهُ وجود هنا في الحياة، بدأت أكبر شيئًا فشيئًا وجناحاي يكبران معِي ويزداد مظهرهما سِحرًا، وقد حاولت مرارًا التنقل من غابة لأخرىٰ أنا وشقيقتي ولكننا لم نستطع فقد كنا نُمنع من الخروج لأننا لم نتم الثامنة عشر بعد، وحينما أتممنا الثامنة عشر سُمح لنا بالتنقل، فتنقلت أنا وهي في عدة غابات وكنا نستمتع ونتجول ونختفي فجأة فلا يرانا أحد ثُمَّ نظهر ونمرح، كُنا مازلنا صغيرتين لا نحمل همًا، وفي يوم مرضت ريڤال فاضطررت للتجول في الغابة وحدي وبينما أنا أتجول في الغابة ثَمَّ، عثرتُ على والدك صدفة وكنت مُتخفية حينها كعادتي حينما أُبصر بشريًا، وأحيانًا كنت أتحول لفراشة وأقف على يديه فأرى بسمته الحنونة، ومرة أخرى كنت أتخفى وأراقبه في صمت وفُؤادي يشتعل بالحب، وظللت علىٰ هذا الحال ثلاثة أعوام، آتي للغابة يوميًا لأراقبه حتى أنني كنت أبقىٰ هنا وقتًا أطول وأساعده حينما يقع في مأزق بدون أن يشعر بي، وفي يوم قررت الظهور فكنت أتألم وأنا أراه ولا أستطيع مصارحته بحُبي أو حتى التحدث معه، أخفيت أجنحتي البرَّاقة وتعمدت الظهور أمامه في يوم...

« ثُمَّ عادت بذاكرتها إلى الوراء حيث اللقاء الأول. »

كانت تتجول في الغابة بالقرب من الكوخ الخاص به، وقفت على بعدٍ ضئيل جدًا منه وكانت تقطف زهرة البنفسج.

اقترب منها ذلك الشاب ثُمَّ قال بخجلٍ طفيف:

- معذرةً، هل أنتِ تائهة أو ما شابه؟ لا أتذكر أنني رأيت في الغابة بشريًا غيري.

التفتت لهُ فنظر لها بذهولٍ حينما رأىٰ ملامحها الهادئة الممزوجة بالحدة، شعرها الناري، النمش، زُرقة عينيها.

- لست تائهة، فقط أحب التجول في الغابة وأنا أيضًا أول مرة أراك بها، ربما لأنني لم أكن أتعمق لهذا الحد.

ابتسم لها بسمة لطيفة ثم قال:

- لَمْ أرَ أحدًا يحب الغابات مثلي من قبل، الجميع يقولون أن الطبيعية عادية وليست جميلة بالقدر الذي أراها به.

نظرت له ثُمَّ قالت بعدما تنفست بعُمقٍ:

- لا أعتقد هذا، فالطبيعة رائعة كما أنها تعطيك شعورًا لطيفًا خاصة عندما تتغلغل الراحة والطمأنينة في أوصالك بسببها، فهي ملجأ للروح، وشفاء للقلب، وتُعينك دائمًا لكي تحصل على السلام النفسي..

- ما اسمك؟

- ديليشيا وأنت؟

- أركون .

- سعدت بلقائك يا أركون.

ثُمَّ تركته ورحلت، فكان هو ينظر لأثرها ببسمةٍ هادئة..

نظرت "ديليشيا" إلى "داميانوس" الذي كان يستمع بتركيزٍ شديد وقد فغر فاه فقالت:

- ومن ذلك اليوم ونشأت بيني وبين والدك صداقة قوية وعميقة، كنت آتي كل يومٍ إلى الغابة، أسير معه ثُمَّ نضحك ونتسامر حتى أغرمت به أكثر فلم أجد مفرًا منه، كانت كل الطُرق تؤدي إلى حُبه، وبعد مرور وقت اعترف لِي بحبه، وكان مستعدًا لفعل كُل شيء مِن أجلي، لم يعجبني الأمر شعرت أنني رُبما أخدعه لو قَبِلتُ حبه بدُون إظهار هويتي، فقررت الاعتراف له بطبيعتي وماذا أنا، وبينما نحن نتجول كعادتنا في اليوم التالي وقد تجاهلت أمر الرد عليه، قلت له أنني أريد التحدث معه في أمر هام وأخبرته أنني جنية ولستُ ببشرية كما أدعي، وحينما نظرت لوجهه وجدت الصدمة جلية عليه فشعرت بالوجل من أن يقول أنه لا يريدني واختفيت من أمام عينيه ولَمْ آتي مجددًا إلى الغابة وكانت ريڤال تذهب وتأتيني بأخباره، وأخبرتني في يوم أنه يصيح مناديًا عليّ بصوته كل يومٍ لعلني أظهر ولكنني لم أظهر ولم أكن أريد العودة كُنت مُحطمة من كل الجهات، وعلى حين غِرَّة شعرتُ بألمٍ في مُهجي غير مبرر، لم تكن ريڤال مريضة ولا بها أي ضرر وكذلك عائلتي فلَمْ يأتِ في عقلي إلا أركون، انتقلت إلى الغابة بسرعة البرق وحينما وصلت وجدت خمسة أشخاص

أقوياء البنية يجتمعون حوله وهو يمسك سيفه ويحاول الدفاع عن نفسه بكل ما أوتي من قوةٍ حتى أن هناك جرح عميق أصاب صدره، فشعرت بغضبي يزدَاد ثُمَّ ظهرت أمامهم فجأة وكُنت كأنني خرجت من النار للتو، ألقيت عليهم جمرة من النار فاحترقوا وماتوا، كان أبوك يهذي باسمي حينما اقتربت منه، حملته بصعوبةٍ ثُمَّ أدخلته الكوخ وبدأت في تطهير جرحه وضمدته ثُمَّ وضعت له الكمادات حينما ارتفعت حرارة جسده وبعد مرور بعض الوقت كانت انخفضت حرارته ولم يسعفني مهجي للرحيل وتركه ولكن كان لابُد من العودة لأنه موعد تجمع العائلة، وحينما أوشكت علىٰ الرحيل ...

أمسك يدي ثُمَّ قال وعينه مثبتة عليها:

ديليشيا، ابقِ لا ترحلي أرجوكِ.

وظل يكررها أكثر من مرة فأنصاع قلبي لهُ ثُمَّ بقيت جانبه ولكن ظهرت "ريڤال" لتخبرني أن موعد تجمع العائلة الآن فأخبرتها أنني لا استطيع تركه فرحلت، وبقيت معه حتى الصباح ولم يذق جفناي النوم حتى فتح عينيه بإنهاك، كنت في المطبخ أحضر له طعامًا، وحينما دلفت للغرفة وجدته يحاول الاعتدال في مرقده فاقتربت منه ثُمَّ ساعدته بهدوءٍ..

رمش بعينيه بذهولٍ ثُمَّ وهو يتكئ علىٰ حرُوف اسمي ببطء:

- ديليشيا!

لم أكن أعرف ماذا أفعل فصمت عن الحديث وكان لأول مرةٍ يراني كجنية، وضعت الطعام على الطاولة ثُمّ أمسكت الملعقة وحاولت

إطعامه لأنه كان منهكًا، فبدأ في تناوله وبعد انتهائه اِنتصبتُ من مكاني ثُمَّ وضعت الطعام في المطبخ وحينما عدت وجدته قد وثب من على الفراش.

- سأرحل.

أمسك يدي فنظرت إلى كفه الذي يحتضن كفي وقُلت:

- يجب عليّ الرحيل.

لم أشعُر بنفسي إلا وأنا بفحو ضلوعه، كان يُعانقني بقوةٍ حتى كاد أن يدخلني لذلك الضلع الذي خلقت منه، سمعت همسه يقول:

- لا ترحلي أرجوكِ.

خرجت من بين أحضانه ودموعي تتسابق على وجهي وحينما التفتُ لأرحل فوجدت عائلتي ورائي..

نظرت لأبي بصدمة ثُمَّ أخفضت رأسي، بينما أركون فكان ينظر لهُ بهدوء شديد.

نظر إليَّ أبي حينها وقال:

.يُمكنكِ البقاء معه، لست قاسيًا حتىٰ أمنع قلبين من بعضهما.

نظرت له بدهشةٍ، فابتسمت لي أمي بحنوٍ، وتزوجتُ مِن أبيك وكانت أجمل أيام حياتي تلك التي قضيتها معه حتى ذلك اليوم المشؤوم الذي رحل به..

انتهت "ديليشيا" فنظر لها "داميانوس" الذي كان يستمع بإنصات ولا يقاطع من يتحدث كعادته ثُمَّ سأل بتعجبٍ:

- ولِمَ لَمْ تعودي لعالم الجنيات بعد وفاة أبي؟ أليس هو موطنك؟ أيرغب الشخص في البُعد عن موطنه للأبد يا ديليشيا؟

تنهدت "ديليشيا" ثُمَّ قالت:

- لن أستطيع يا صغيري حتى تتم الثامنة عشر.

- لِمَ؟

-المملكة لا تقبل بالبشر، إن كان نقيًّا أي أنه من أمٍ بشرية وأب بشري، أما لو كان هجين فيُنتظر حتى يتم الثامنة عشر وحينها سنحدد إن كان يمكنه الانضمام لنا أم لا.

- وكيف تقومون بالتحديد؟

- عن طريق الأجنحة، إن ظهر للشخص أجنحة بعد الثامنة عشر فيمكنه الولوج لعالم الجنيات ويصبح واحدًا منهم وظهور الأجنحة يعتمد على القلب، إن كنت نقيًا ستنمو الأجنحة، وإن كنت قاسيًا لا تمتلك رحمة في قلبك لن تنمو الأجنحة ولن تستطيع الانضمام لعالم الجنيات.

- كيف تأكدتم من هذا؟

- قديمًا منذ قرن تقريبًا، انتشر زواج الجنيين والجنيات من البشر، فكان الشخص الهجين يمنع من دخول المملكة حتى يبلغ الثامنة عشر من عمره ولم يكن يُعتمد هذا الأمر على الأجنحة، وحينما دلف معظم البشر لعالمنا، أقاموا حربًا على الجنيين والجنيات، فأدت إلى موت عدد كبير منهم، فكانوا يقتلونهم بطرقٍ بشعة، وكان الهجين الذي تظهر له الأجنحة لا يَقتل، وحينما بحثوا في الكتب عن تلك الحادثة وكيف يعلمون مَنْ الصالح ومَنْ الفاسد مِن البشر الهجين كانت عن طريق الأجنحة، إن ظهرت بعد الثامنة عشر فهو نقي لا يمكنه إيذاء الجنيات وإن لم تظهر فهو سيتفنن في الإيذاء، وحينما ازداد بحثهم فِي الكُتب وجدوا أنه قد دخل من قبل بشري هجين عديم الأجنحة للمملكة وهذا البشري قتل ما يُعادل أربعة آلاف مِنّا، فاستقروا على هذا وبالفعل لم يطبقوا ذلك القانون إلا بعد التأكد مِن الأبحاث وتجربتها بنفسهم.

نظر لها "داميانوس" بحيرةٍ شديدة ثُمّ سأل وهو يلوي فمه:

- وكيف يتأكدون يا أمي؟ لا أظن أن تلك النظرية تنطبق على كل البشر الهجين عديم الأجنحة.

- كان هناك جنيًا يدعى «الساحر» أو «الحكيم» بسبب امتلاكه لأكثر من قوتين وهذا الشيء لم يحدث في عالمنا مطلقًا، كما أنه جاب البلاد طلبًا للعلم والمعرفة وتعلم الكثير والكثير الذي خُلِدَ في مكتبة المملكة العريقة، وهناك نظريتان سعى لها الساحر، الأولى: أنه قسم الهجين إلى مجموعتين حسب لون دمائهم و...

- ولِمَ لم يحدد حسب الأجنحة؟!

- لم نكن نعرف سر الأجنحة بعد.

- لون دماء البشر أحمر وكذلك الجنيات كما تعرف، أمَّا الهجين الغير مُجنح فهو أصفر أو أزرق، والهجين المجنح إمَّا أحمر مثلنا أو رمادي وكان هذا نادرًا، وقد جرب الحكيم تجربة الدم لفترةٍ حيثُ أن الهجين الغير مجنح هو الذي يَقتِل وفقًا لأبحاثه ولكن قد حدث خطأ حيثُ أن هناك هجين غير مجنح ذو دم أحمر ارتكب جريمة قتل الملكة 'إلورا' فأُلغيت نظرية الدم للحكيم لأنه اتضح أنه يمكن للهجين الغير مجنح أن يكون دمه أحمر، ولكن الحكيم استكمل أبحاثهُ ليعثر على حلٍ ليوقف تلك الجرائم المتكررة في عالمنا وبالفعل عثر على طريقةٍ استدعت انتباه الجميع وهي أنه كان يخرج قلب كل جني هجين فإن كان قلبه كالفحم يُقتل، وإذا كان أبيض فيبقى ويعود قلبه كما كان داخل قفصه الصدري بطريقة مُدهشة كأن قلبه لم يخلع قط، أمَّا إذا كان يخلط بين الاثنين يُرسل لحديقة «أرسوڤيو» حديقة الملكة إلورا التي مازالت موجودة حتى الآن ليعمل هناك كخادم ويرعى الحيوانات في الغابة ليُغلب نفسه النقية على الأُخرى وإن فشل يقتل.

- والنظرية الثانية؟

- هي النظرية المعتمدة حتى الآن وهو أن الحكيم قد لَاحظ وهو يخرج قلوبهم أن من يملكون قلبًا أسود هم لا يمتلكون أجنحة، والقلب المختلط والأبيض يملكون أجنحة وبعد مرور ثلاث سنوات تقريبًا من

البحث المستمر من قبل الساحر، علم أن الأجنحة لا تظهر إلا للأنقياء وبعد اكتشافه لها مات الحكيم وحينها مُنع ولوج أي هجين لعالمنا بدون نمو الأجنحة، وماتت قصة كيفية نزع قلوب الهجين من الأجساد ثُمَّ إعادتها مع الحكيم.

انتهت "ديليشيا" من سرد التفاصيل على "داميانوس" الذي فغر فاه ثُمَّ قال بذهولٍ:

- هذا عصي على الفهم يا أمي، كيف؟

- أعلم أن الأمر صعب عليك الآن، لهذا كتبت كل هذا الحديث في تلك الورقة، احتفظ بها.

قالتها ثُمَّ أعطته الورقة فأخذها منها ثُمَّ نظر لها بتعجبٍ وقال بعدما صرف نظره عنها:

- إذن لم تكن محادثة الحيوانات هي هدية من ساحرٍ طيب قُمتِ بمساعدته فأعطى لكِ تلك الميزة أنتِ وذريتك، بل تلك قوالكِ لأنكِ من الجنيات؟

أومأت له ببسمةٍ، فابتسم لها وقال:

- وماذا عن أمر النار التي خرجت من يدي؟

تنهدت "ديليشيا" ثُمَّ قالت:

- في الحقيقة من المفترض حينما تتزوج جنية من بشري والعكس فإن الهجين يرِثُ قوة واحدة من أمه أو أبيه، وأنت ورثت قوة التحدث مع الحيوانات ولكن أخبرتني أمي أنه يمكنه أن يرث قوتين وهذا أمر نادر حدوثه، فالنار هي القوة الثانية التي أخذتها مني يا داميانوس فأنا أمتلك قوة النار وحينما أغضب أُشعل الأرض بأكملها ولا أتوقف إلا حينما أهدأ..

نظر لها ثُمَّ سأل بتفكيرٍ بعدما وضع يده على ذقنه:

- لهذا حينما غضبت اندفعت النار من يدي؟

أومأت له، فقال هو بنبرةٍ غير مصدقة لكل ما يسمعه ويحدثُ معه:

- هذا غريب ولكنه مُثير.

- هذا كل ما أخفيته عنك الفترة الماضية، لا أخفي أي شيء آخر.

ابتسم لها ثُمَّ نظر ليده وحركها بعبثٍ فابتسمت "ديليشيا" وقالت:

- لن تستطيع أن تخرج قوتك بإرادتك الآن يا داميانوس ما زلت صغيرًا لا تتحكم بها، تستطيع إخراجها وقت ما تشاء حينما يتم تدريبك على استخدامها أكثر وستزداد قوتك شراسة حينما تبلغُ الثامنة عشر.

- أكُل شيء مُتعلق بالثامنة عشر؟

قالها بحنقٍ شديد ففلتت منها ضحكة خافتة ثُمَّ قالت:

- يجب أن تتعلم كيفية التحكم بها، فإن خرجت على غير إرادتك ستدمر الجميع، فالنار عبء شديد يا صغيري، لهذا أعلمك أن تتمالك نفسك في انفعالاتك حتى لا يتأذى أحد..

- هل يمكنني طلب شيء؟

رفعت حاجبيها من ذلك اللطف المبالغ فيه ثُمَّ قالت:

- تفضل.

- هل يمكنكِ أن تتحولي لجنية الآن يا ديليشيا؟

غمزت له ثُمَّ نهضت من على الفِراش وتمتمت بعدة كلمات لم يفهمها "داميانوس" وفي لمح البصر عادت هيئتها الطبيعية وكان شعرها الأصهب مُشتعِلًا ومُضِيئًا.

- أوه، تبدين مذهلة.

ابتسمت له ثُمَّ هبطت على الأرض وأمسكت به لتخرج من الغرفة وهي تُحلق حتى وصلت لخارج الكوخ، أنزلت "داميانوس" ووقفت أمامه ثُمَّ أغمضت عينيها بقوةٍ وهي تُحرك يدها بتناغُم وعلى حِين غِرَّة انبثق من يدها نار على شكل نجمة، اقترب "داميانوس" ثُمَّ نظر للنَار بدهشةٍ.

- اشتقت لأركون؟

قالتها بهدوءٍ شديد فأومأ لها قائلًا بحزنٍ طفيف:

- اشتقت له كثيرًا يا أُمي، واشتقت لذراعيه وأحاديثه الدافئة التي كُنتِ تقصينها معه.

ابتسمت "ديليشيا" ثُمَّ اقتربت من البحيرة وهي تمسك يد طفلها ثُمَّ تمتمت بعدة كلمات مُبهمة وهي تدفع بالنار نحو الماء، اختلطت الماء بالنار وظهرت فجوة عميقة جدًا فِي البُحيرة، فزع "داميانوس" وتمسك برداء والدته الأحمر وفجأة صدح صوت والده، نظر للفجوة وهي تَجلب مشهدًا لوالده مَعهم حينما كان طفلًا، ابتسمت له "ديليشيا" حينما نظر لها، جلس على حافة البُحيرة وهي يُرَاقِب والده يحمِلهُ ويُحدِثهُ باللين ثم دلفوا للغرفة ووضعاه علىٰ الفِراش وجلسا بجانبه، فكان والده يسرد لهُ قصة الأرنب والسُلحفاة و"ديليشيا" تمسح على رأسه حتىٰ غفىٰ، رمق أباه بحنينٍ بَالِغ ثُمَّ دمعت عيناهُ كما دمعت عين "ديليشيا" التي تنهدت حينما انغلقت الفجوة وعادت البُحيرة هادئة وعاد الماء بلا نار.

نظر لها بدموعٍ فهبطت على الأرض وعانقته بحنوٍ فبادلها العناق بألمٍ، تمتمت بعدة كلمات فعادت بشرية، أمسكت بيده ثُمَّ دلفا للغرفة مجددًا.

- أمي، قلتِ أنكم تستطيعون التحول لفراشات صحيح؟

قالها بعدما هدأ من نوبة بكائه، أومأت له فقال هو بحماسٍ:

- إذن تلك الفراشة التي كانت تتبعني أينما أذهب، هي كارولينا أم ريڤال؟

- كارولينا، كانت تعتني بك حتى لا يصيبك سوء.

-أُحبها وأحبك، تصبحين على خير أيتها الجنية ديليشيا.

قالها ثُمَّ غاص في سباتٍ عميق، ضمته "ديليشيا" لعناقها ثُمَّ تمددت على الفراش ودثرت جسديهما بالغطاء وكانت تحدق في الغرفة حينما شعرت بألمٍ طفيف في صدرها وبالتحديد عند ذلك المختبئ خلف القفص الصدري الذي يوجد في المنتصف ويميل لليسار قليلًا..

***

في اليوم التالي - الساعة التاسعة صباحًا..

استيقظت الشمس وأرسلت الدفء للفؤاد ومعه تسلل ضوؤها الخافت عبر نافذة غرفة "ديليشيا" التي كانت تسعل بقوةٍ وأمامها يجلس "داميانوس" خائفًا، كان جسده يرتجف من الوجل وهو يحاول تهدئتها من سُعالها.

نظر لها وقال بنبرةٍ مرتجفة:

- لا تقلقي يا أمي، سأذهب لأُعد لكِ كوبًا من الأعشاب لعلها تخفف السُعال وألم معدتك.

هبَّ واقفًا وكاد أن يتحرك ولكنها أمسكته ثُمَّ قالت بنبرةٍ مبحوحة من كثرة السعال:

- اجلس يا داميانوس أُريد أخبارك بشيء.

- ليس الآن يا ديليشيا، خذي الأعشاب أولًا.

- داميانوس أنصت لي، ليس لدي وقت كافٍ.

نظر لها قليلًا وكاد ينهض بدون أن يستمع لها ولكنها عنفته فجلس مُجبرًا.

- اسمع يا صغِيري، قوتك قوية جدًا، عليك أن تتعلم كيف تتحكم بها لابُد أن طريقي انتهىٰ إلىٰ هنا ولن أستطيع الإكمال معك ذلك الطريق الوَعِر، ستعرف "ريڤال" ما تفعله معك بالضبط، استمع لها ولا تعترض علىٰ شيء فهي تريدك أن تكون أفضل من أي أحد حسنًا؟ واسأل كيفما تشاء ولا تخجل مِن الحديث أو السؤال أنا أعرفك جيدًا و...

ثُمَّ صمتت عن الحديث فكانت تأخذ أنفاسها بصعوبة بالغة وقالت:

- لا تنسَ أن تستخدم قوتك فِي الخير لا الشر؛ فالشر لا يدوم ومهما طال وجوده ففي النهاية سيُهزم من قبل الخير، لأن الشر شيء مُقزز وذميم، وكن إنسانًا خير وطيب مهما امتلأ عالمك بالقسوة، حافظ علىٰ نقاء قلبك وبراءتك التي أعلم جيدًا أن الحياة ستلوثها بالقاذورات، وأعلم أن الخير يبقىٰ أثره في قلوب البشر وحينما ترحل يتذكرونك دائمًا بحديثهم الدافئ عنك، والشر يبقىٰ أيضًا ولكن حينما ترحل ستكون في الوحل بسبب أفعالك، تذكر يا داميانوس مهما حدث لا تتخلىٰ عن طبعك ولا قوتك ولا تستسلم، فلا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس، كُن كما أنت وليس كما يُريد الآخرون.

شربت بعضًا من الماء الذي بجانبها ثُمَّ قالت بنبرةٍ تجاهد لتخرج الكلمات من فمها:

- واختر صديقك جيدًا، واعلم أن الصديق هو رفيق الرحلة في تلك الحياة وهو مَنْ يهون عليك المشقة والتعب، فأحسن اختيار صديقك لتعِش حياة سليمة هادئة، الصديق من يكون معك في أوج لحظات حزنك، وتجده يسعد قبل سعادتك، ويحزن إذا مس قلبك حُزن، ولا تتخذ خليلًا لا يُشبهك في فكرك ومعتقداتك، رُبما يكون هناك اختلاف بسيط فلا بأس هنا أن تتخذه رفيق فلا بُد من الاختلاف لتكتمل الحياة، ولكن إذا كان الاختلاف جذريًا فسحقًا لتلك الصداقة لأنها لن تدوم، وكن صادق الوعد لا تُخلِفه، الوعد على عنقك كالسيف إن أخلفته يجب عليك قطع عنقك، وكن حافظًا للسر لا تفصح عنه، لأن الشخص إن كان يريد البوح به للآخرين فما كان اسمه سرًا، السر سر، وخائن السر لا يُؤتمن فلا تكن خائنًا، كما أن الرفيق الحقيقي لا يتركك من أجل شيء إلا حينما تقسو عليه أو تمس كرامة نفسه، فاحذر أن تكون جارحًا تجرح قلوب الناس يا داميانوس، كن طيبًا وذو أثر طيب ولك حضور لين ومَهيب في الوقت ذاته ولا تُثقِل على أحد، فكل واحد في حياته يُعاني الويلات لا تظن أنك وحدك من تتألم وتحزن، هُناك غيرك بل وجعهم رُبما يكون أضعاف وجعك فلا تستهن بجرح أحد يا بني فواللهِ لا يوجد جرح هين وإن بدا لك غير ذلك، فالشخص مَنْ يحاول جعله بذلك اللين ليتأقلم مع حياته، وضع عُذرًا لكل شخص ولا تندفع كالحمار في الشجار مع أحد بدون فهم، وتذكر أن تكون لديك نظرة ثاقبة، تأمل وتفكر بهدوءٍ، خطط وفكر وتأمل كالصقر وانقض كالأسد، لا تجعل أحدًا يطلع على أفكارك إلا من تثق به وتعلم أنه سيكون آهلًا

بهذا، وتذكر يا صغيري خذ الرفيق قبل الطريق فإنه إمَّا يأخذ بيدك إلىٰ النعيم أو إلىٰ الهلاك، فأحسن إنتقاء أصدقائك حتىٰ لا تشقىٰ..

نظر لها بعبرات تجمعت في مقلتيه فتنفست بعُنفٍ ثُمَّ قالت وهي تقطع حديثها:

- آخر شيء سأُخبرك بِه هو أن .. هناك دين يُدعىٰ الإسلَام يا داميانوس، لا أعرف عنه الكثير ولا أعرف عنه سوى ما سمعته من حديث الناس، يقولون أنه الحق و.. يجدون ضالتهم به ويشعرون بالراحة حينما يُتلىٰ عليهم شيء يُسمى 'القرآن' ويقومون بفعل شيء أخر يسمىٰ 'الصلاة' و 'الصوم' و ...

ثُمَّ قطعت حديثها ونظرت له قليلًا فأندفع لصدرها وهو يبكي بنشيجٍ مسموع، عانقته وشدَّت من ضمها لجسده بين ذراعيها ثُمّ دمعت عيناها بأسىٰ وقالت بهمسٍ:

- اذهب لخارج الغابة حينما تكون قادرًا على مواجهة ما يوجد خارجها، وتعرَّف على هذا الدين أكثر وإن وجدت ضالتك وراحتك به كما وجودها هم فاعتنقه يا حبيب فُؤاد أمك..

قالتها ثُمَّ تمتمت بعدة كلمات غريب كنهها وتوقفت نبضات قلبها ثُمّ ارتخت يدها حول جسده وهو مازال يبكِي بعُنفٍ بين أحضانها حتى كاد أن يفقد بصره من كثرة بكائه وحينما شعر بارتخاء ذراعيها رفع رأسه برهبةٍ فوجد عينيها مُغلقة وأنفاسها قُطعت، صرخ صرخة اهتزت لها الأشجار بالخارج وكانت "زيتونة" تقف أمام باب الغرفة وعيناها تُدمع

بأسىٰ والبومة "لُونا" دلفت للمنزل ثُمَّ وقفت علىٰ المقعد وهي ترمق "ديليشيا" بألمٍ.

عانقها مرةً أخرىٰ ثُمّ بكىٰ وقال بصراخٍ:

- أُمي، أُمي، أرجوكِ لا ترحلي، لا تغلقي عينيكِ أرجوكِ!

ثُمّ بدأ يهز جسدها بذعرٍ وبُكاء وفجأة ظهرت "ريڤال "و"كارولينا"، نظرت "ريڤال" لشقيقتها التي كانت راقدة علىٰ الفراش بلا حراكٍ مبتسمة الجوف، عيناها مغلقة، شعرها الأحمر كان هادئًا وفاقدًا لشُعلته، بينما "كارولينا" اقتربت من "داميانوس" الذي رفض ترك أمه ومازال يبكِي فجذبته لعناقها بصعوبةٍ فبكىٰ وكانت تربت عليه ودموعها تسقط علىٰ وجهها وهي تنظر لجثة صديقتها النائمة، نوم لا استيقاظ بعده.

اقتربت منها "ريڤال" ثُمَّ ابتسمت وسقطت الدموع من عينيها وهي تقول بنبرةٍ مرتعشة:

- ديليشيا، هل تسمعينني؟ أرجوكِ يا ديليشيا..

لم تجب عليها فبكت وهي تقترب منها ثُمّ عانقتها وقالت:

- فلترقدي في سلام يا نار.

نظرت لـ "كارولينا" التي كانت تحتضن "داميانوس" الذي لم يهدأ بُكاؤه، فاقتربت ثُمّ أخذت ابن أختها وعانقته بحنوٍ ممزوج بالألم.

- عودي إلى الديار يا كارولينا وأخبري العائلة..

أومأت لها "كارولينا" وكادت أن تعود ولكن قبل العودة نظرت لجثة رفيقتها وقالت:

- وداعًا يا ديليشيا.

ثُمَّ اختفت من أمامها ودموعها تغرق وجهها، اقتربت "زيتونة" من "ديليشيا" ثُمّ وضعت الغطاء الأبيض عليها بفمها وقالت:

- رحلتِ كما رحلت صديقتي من قبل يا ديليشيا .

ثُمَّ هبطت من على الفراش وبقيت في زقاق الغرفة تبكي، بينما كان "داميانوس" يتشبث بخالته وهو يبكي حتى كاد أن ينقطع حبله الصوتي من فرط شهقاته، كان صراخه الخافت بين عناقها يُؤلمها، كانت تربت عليه ولا تعرف هل تُواسي ابن شقيقتها أم تواسي نفسها، ثُمّ نظرت لشقيقتها والآن عرفت لماذا استدعتها قبل قليل حينما تمتمت بعدة كلمات قبل أن تغمض عينيها للأبد..

- هي ستكون بخير يا ريڤال، لن تتركني وترحل، لن تفعل.

انحنت قليلًا ثُمَّ رفعت وجهه لها وقالت بنبرةٍ هادئة وهي تحاول منع عَبْراتها من السقوط:

- الرحيل ليس بيدها، هي بخير، حتى وهي راحلة مازالت روحها تطوف حولك، لقد تركت بك أثرًا طيبًا، تركت بك نفسها وحديثها الناضج وحكمتها في الحكم على الأمور، ربما تكون ديليشيا رحلت ولكنها...

ثُمَّ أشارت علىٰ فؤاده وقالت ببسمةٍ حنون:

- ولكنها توجد هُنا، داخلك وفي فُؤادك، فلا تجزع روحك، هي بخير وتُحبك..

نظر لها "داميانوس" بعينين منتفخة من كثرة البُكاء ثُمَّ قال:

- قلبي يُؤلِمني يا ريڤال، أشعر به يكاد يتوقف مِن فرط الألم، ثقيل عليّ أن أودعها، ثقيل عليّ ألّا أرها وهي كل ما أملِكهُ هنا، لا أستطيع العيش بدُونها، ستكون الحياة ثقيلة جدًا!

ثُمَّ بكىٰ فعانقته "ريڤال" بحنوٍ شديد، تعلم الآن مقدار الأمانة التي تركتها لها "ديليشيا"، ستحاول جاهدة تنميته وجعله أقوىٰ وأقوىٰ، ستحاول بكل ما تمتلك من قوةٍ أن تحافظ عليه حتىٰ وإن اضطرت لموتها فستفعلها في سبيل ابن شقيقتها.

ظهر موكب مَهيب مِنْ الجنيات خارج الكوخ وفي المقدمة كان "آريس" و"ديلان"، هبطت الجنيات علىٰ الأرض في سكُونٍ، ومازال" آريس" و"ديلان" يحلقان ثم نظرا للكوخ ودلفا مع "كارولينا" الباكية.

تواثبت دقات قلب "آريس" ثُمّ ولج لغرفة ابنته وحينما رأىٰ الغطاء الأبيض عليها سقطت دموعه ثُمَّ اقترب بخطىٰ وئيدة مهمومة وأزاح الغطاء، فظهر وجهها الأبيض الذي يعانقه نمش خفيف، كانت ساكنة كسكون الطفل في حجر أمه غارقًا في لُجة النوم، فسكنت هي وغرقت بين أحضان الموت الذي لا يأخذ إلا من نحمل لهم حُبًا بداخلنا، وضع يده اليُمنىٰ علىٰ وجنتها وهبطت دمعة من عينيه علىٰ وجهها اتبعتها عدة

دمعات كانت كفيلة بإيصال ألم قلبه، توفت ابنته الحبيبة والتي لم يسعفه فؤاده أن يمنعها من الحُب فسمح لها بالرحيل من عالمها والولوج لعالم غريب يختلف عنها كُليًا، قبل جبينها بهدوءٍ شديد وكذلك يدها ولم يتحدث بأي شيء، أحيانًا تأتي صدمات في الحياة تُصيبك بالسكوتُ، ليس سكوت رضا كما يقول البعض وإنما هو الوجوم..

بينما "ديلان" فكانت تقِف هادئة وساكنة ذلك السكون الذي يتبع فاجعة الموت التي تُفجع قلبك في أحبائك، شعرت بقلبها يهوىٰ أرضًا حينما أخبرتها "كارولينا" بموت ابنتها ولكنها ساكنة تنتظر تلك اللحظة التي ستنفجر بها، نهض "آريس" مِن على الفراش ثُمَّ وقف بجانب "ريڤال" ،فاقتربت "ديلان" بخطىٰ خائفة، مُرتجفة، وحينما تمعنت فِي وجه" ديليشيا" انفجرت فِي بُكاءٍ عنِيف لم تتمكن من الحديث بسببه، وضعت يدها علىٰ يد طفلتها، تلك التي كانت طفلة الصغيرة لا حُزن يُصيبها، فكبرت وتلحفت في حياة الكِبار واحتضنها الموت بين أضلعه، بكت "ديلان" أكثر فعانقت عبراتها وجهها بأكمله، لم تقدر علىٰ النبس بنبت شفة وهي ترىٰ تلك الصغيرة اللي عملت كثيرًا على رعايتها جثة بلا روح، حافظت عليها بكل ما تملك من قوة ولكنها لا يمكنها الحفاظ عليها من الموت، كانت تعرف أن ابنتها سيُصيبها شيء ولكنها لم تعرف ما هو بالضبط، كان شعور مجهول يُصيبها، نظرت لوجهها ثُمَّ قبلت جبينها بقلبٍ منفطر علىٰ فلذة كبدها، كانت بسمتها هادئة كعادتها علىٰ وجهها الهادئ، فكانت من أكثر الجنيات التي تتمتع بدهاءٍ.

نظر "آريس" لزوجته نظرة تعرفها جيدًا، حمل ابنته على ذراعيه ثُمَّ حلق بها خارجًا من الكوخ بأكمله، خرج وراءه "داميانوس" صارخًا باسمها وكانت تمسك "ريڤال" بيده، وضعها على العُشب الصغير بهدوءٍ، وجميع الحيوانات كانت تقف والدموع في أعينها تُشاهد المشهد الذي سيؤلمهم جميعًا، ولكن قبل أن يفعل "آريس" شيئًا ركض لهُ "داميانوس" ثُمَّ اقترب من والدته ووضع زهرة البنفسج المُفضلة لديها في خصلاتها الصهباء ثُمّ لثُم جبينها ووجنتها اليُمنى وعانقها بقوةٍ وبعدها وقف على بُعدٍ ضئيل مِنها..

رفع "آريس" رأسه بشموخٍ وقوة تلِيقُ به ثُمَّ قال بنبرةٍ قوية:

- التحية قبل الوداع.

ركعوا جميعًا في مشهدٍ جليل ومَهيب وكانت "لُونا" تُحلِق في السماء وتُطلق صيحات غريبة، اقترب من ابنته ثُمَّ جلس على ركبتيه وكذلك زوجته، نظر إلى "ديلان" ففهمت نظرته جيدًا، وضع يديه على جبين "ديليشيا" وفوقها وضعت "ديلان" يدها ثُمَّ أغمض كلٌ منهم عيناهُ وتمتما بكلماتٍ مُبهمة لـ"داميانوس" وجميع الجنيات والجنيين يُرددون الكلمات معهم ثلاثة مرات وبعد انتهاءهم، انبثق ضوء أبيض غريب من جسد "ديليشيا" كان يعمي العين فأغمض الجميع عينيه بسبب قوة الضوء ثُمَّ بدأ يخفت تدريجيًا ومعهُ ظهر هباء أبيض حلق في السماء ثُمَّ أخذته الرياح بخفةٍ ومعه اختفى جسد "ديليشيا" للأبد، اختفى الهباء عن الأنظار تمامًا وحينها اهتزت أشجار الغابة بعُنفٍ وهي تمِيلُ قليلًا كأنها علمت بفقدان جنيّة كَانت تُحافظ عليها وعلى الحيوانات المستقرة بها

من غدر البشر، تبلَّدت السماء ثُمَّ هبت عاصفة هوجاء تحمل رائحة طيبة، وصدح غناء العصافير على الأشجار ينشدُون أنشودة الوداع وزادت صيحات "لُونا" فاختلطت ببكاء "داميانوس" الذي هزَّ أغصان الأشجار من قوة بكائه، الآن أدرك رحيل والدته للأبد، ذلك اليوم طُبِع في ذاكرته ولن ينساه مُطلقًا، أينسى القلبُ فقد الحبيب وانقطاع كُل طُرق الوصال؟ جلس على ركبتيه يرمق مكانها الفارغ بضعفٍ وكانت تسيلُ من عينيه عَبْرَات مُتألمة، تشكل الحزن على هيئة دمُوع وهذا كُل ما يستطيع فعله، ليت روحهُ تخرج الآن لتلحق بها، حبيبته الأولى والأخيرة، ليته يلحق بها ليرتاح قلبه من الألمِ..

بكت "ديلان" بقوةٍ فاحتضنها زوجها وهو يغلق عينيه حتى لا تُدمع، فاليوم رحلت ابنتهم عن ذلك العالم القاسي، ولا يعود الميت أبدًا مهما تمنيت ذلك.

ترك "آريس" زوجته ثُمَّ اقترب من "داميانوس" الذي كان يختبئ داخل أحضان "ريفال" ثُمَّ سحبه بهدوءٍ وقال بنبرةٍ هادئة يُحسد عليها في ذلك الموقف العصيب:

- أهدأ يا داميانوس! جميعنا سنرحل يومًا ما، وإن رحل جسدها فروحها هُنا تطوف معنا ولا تتركنا أبدًا، كُن قويًا وصلبًا كما كانت تُريد منك، حسنًا؟

- حسنًا.

نظر له جده وقال:

- عدني أنك ستصبح قويًا من أجل نفسك أولًا.

- أعدُك يا جدي.

قالها فعانقه جده ثُمَّ نظر للموكب الذي أتى ورفع يده في إشارة للانصراف، فانصرفوا في موكبٍ عظيم كما آتوا في موكبٍ عظيم..

- ستكون بخير يا داميانوس.

نظر لها "داميانوس" ثُمَّ قال:

- أرجو ذلك يا ديلان.

اقتربت مِنهُ "ريڤال" وقالت بمرحٍ طفيف امتزج بنبرتها المتألمة رغمًا عنها:

- سأكون أنا معك، لا أظن أن هناك شيء أجمل من هذا صحيح؟

ابتسم بإنهاكٍ ولم يُجب فأتت "لُونا" ثُمَّ وقفت على كتفه، نظر لها قليلًا ثُمَّ ربت عليها بتعبٍ روحي وعين مُنطفئة.

بعد مرور أربع ساعات، كان قد رحل "آريس" ومعه "ديلان" و"كارُولينا"، شمَّ رائحة أمه الطيبة التي كان يشمها في المنزل دائمًا فتغلغل الحزن إلى قلبه أكثر، لم يستطع التخيل بعد أنها لن تكُون معهُ، دلفت "ريڤال" للمطبخ ثُمّ طهت الطعام وأعطته له فلم يتناوله.

رمقته بحدةٍ ثُمّ قالت:

- داميانوس، تناول طعامك.

أخذ منها الطبق ثُمّ ظل يعبث به ولم يتناول وكذلك هيَّ، فقدت شهيتها ولم ترغب في الطعام.

ولكنها اقتربت من "داميانوس" ثُمّ قالت بفكرةٍ كمن وجدت ضالتها:

- أوه حسنًا أيها الخبيث، تُريد أن تضع الزعتر؟

ثُمّ وضعت بعض الزعتر فلم يأكل، أخذت منه الطبق ثُمّ أجبرته على فتح فمه ففتحه على مضضٍ فسألتهُ ببسمةٍ:

- لذيذ؟

أومأ لها بملامحٍ حزينة مهمومة ثُمّ تناول القليل ولم يرغب في الإكمال فلم تضغط عليه "ريڤال" ثُمَّ جلست بجانبه على الأريكة وكان هو يستقر بفحو ضلوعها وعيناه تدمع وقد شعرت به وكانت تربت عليه بحنوٍ وهي تقبله على جبينه من حينٍ لآخر، كم هو مؤلم فِراق الأحباب! حتى وإن حاولت التظاهر أن فراقهم لا يُؤلمك ستفضحك ملامحك، عَبْراتك التي تسقط فتزيلها بيديك قبل أن ينتبه أحد، فراق الأحباب يترك أثرًا مؤلمًا لا يُمحى مهما مر الزمن.

ولا أجد في ذلك الموقف العصِيب غير قول الشاعر:

ورجوتُ عيني أن تكف دموعها * يوم الوداعِ نشدتها لا تدمعي

أغمضتها كي لا تفيض فأمطرت * فأيقنت أني لست أملك مدمعي

ورأيت حلمًا أنني ودَّعتهم * فبكيت من ألمِ الحنين وهم معِي.

مُر عليَّ بأن أودع زائرًا * كيف الذين حملتهم فِي أضلعي؟

أسدل الليل سدوله فلا بُد أنهم جلسوا كثيرًا هُنا، كان هو ينعم بدفء عناقها كان دافئًا ولكن لم يكن كحضن أمه، كان حنونًا ولكن ليس كعِناق "ديليشيا"، شعرت بإنتظام أنفاسه فِي أحضانها فحملته بهدوءٍ شديد ثُمَّ وضعته علىٰ الفِراش بحنوٍ وكادت أن ترقد بجانبه وإن كانت لن تستطيع النوم، ولكن جذبها أن هناك قطة تجلس علىٰ المقعد الذي يخص "ديليشيا" ودموعها تهبط بأسىٰ، اقتربت منها "ريڤال" ثُمَّ حملتها وهتفت بصدمة:

- زيتونة!

- ألن تعود ديليشيا مرة أخرىٰ؟

- ألم تخبريني أن الميت لا يعود؟

- أخبرتكِ، ولكن بداخلي أتمنىٰ أن يعُود.

نظرت لها "ريڤال" ثُمّ قالت:

- ليست كل الأماني تتحقق يا زيتونة، يا ليت الميت كان يعود فعلًا، ما كان ليشقىٰ القلب بالشِقاق.

نظرت لها "زيتونة" ثُمّ قالت:

- أعتني بداميانوس جيدًا يا ريڤال، فهو ذكي وفطِن.

ابتسمت لها "ريڤال" ثُمّ قالت ببسمةٍ باهتة:

- سأفعل يا زيتونة ولكنني أحتاجكِ معي في ما أفعله، مازلت لا أعرف الكثير عن الحياة هنا وأحتاج لمن يرشدني، وكذلك داميانوس سأحتاج لمن يُساعدني في تعليمه فهو سيأخذ وقتًا، وأيضًا كما أنه يجب عليه تخطي موت والدته.

- لعل الأمر بيدنا يا ريڤال، تخطِي موت شخص كان بالنسبة لكِ كل شيء أمر أشبه بالمستحيل، فقد كانت ديليشيا خير دليلٍ لطفلها وخير معلمة له، كانت تضع أمامه بعض المعضلات وتناقشه بها ثُمّ ترى وجهة نظره وتعدلها لو بها خطأ، كانت تعامله كطفل وفي نفس الوقت كشخصٍ يُعتمد عليه، لم تحرمه طفولته وفي الوقت ذاته لم تتركه يكتشف الحياة وحده، كانت تخبره بما كانت تفعله في الصغر ومواقفها وكيفية تقديره لنفسه، فقد كانت ديليشيا أم بحق!

ابتسمت "ريڤال" ثُمّ هبطت دمعة متمردة من عينيها وقالت بنبرةٍ متألمة:

- لطالما كانت ديليشيا خير رفيقة وأخت ليّ، كانت حكيمة وآخذ برأيها فِي كل شيء، كنت أجد فيها الحكمة والمَرح واللُطف وكل شيء يمكنكِ تخيله، كانت ديليشيا وما زالت متميزة ومختلفة، لا تُشبه بقية الجنيات ولا تُشبه البشر، كانت تنفرد بنفسها فتجبر مَنْ يسمعها أن ينصَاع لها ولتفكيرها، من كثرة حكمتها كنت أظن أنها تعرف ذلك الساحر الذي لُقب بالحكيم، كانت أُمي الثانية وشقيقتي ورفيقتي الأولى، كانت كل شيء لِي وما زالت، ولن ينفك قلبي عن حُبها.

- تركت بنا جميعًا أثرًا طيبًا نتذكرها به وهذه المهمة وقد تمت، أن تأتي للحياة هينًا وخفيفًا وترحل منها وأنت هينًا وخفيفًا علىٰ القلوب، لا تجرح أحدًا ولا تكن سببًا فِي بكاء شخص وشقائه فِي حياته، أن تسير تعطي الحنان والحُب لكُل مِن حولك، لا تتعامل بأسلوب فِظ مهما كان من أمامك يُجبرك علىٰ هذا، فلا شيء أطيب وأحب إلىٰ القلبِ من اللين والحنان، هما كُل شيء هُنا، الحياة قاسية فلا تجعلها قاسية أكثر في تعاملك مع من حولك، كل شخصٍ بِه ما يجعله يتمنىٰ الموت ولكنه صابرًا..هادئًا، أترك أثرًا طيبًا في قلب كل من تقابله فهذه الأشياء تبقىٰ للأبد.

- قطة حكيمة.

قالتها "ريڤال" بمرحٍ طفيف فابتسمت "زيتونة" ثُمَّ عادت لمكانها الذي تبيت فيه ودلفت "لُونا" من النافذة ثُمّ وقفت على كتف "ريڤال" التي قالت:

- كيف حالكِ يا لُونا؟

- لستُ بخير.

- أعلم بسبب ديليشيا، كانت تُحبك كثيرًا فلا تحزني حتى لا تحزن هي.

ثُمّ طلبت منها "ريڤال" أن تقّص عليها مغامراتها هُنا في الغابة وحينما كانت خارجها، بدأت في القص و "ريڤال" تضحك لعلها تنسىٰ ألمها ولكن هيهات أن يُنسىٰ الألم يا صَاحِبِي، فالألم يبقىٰ نازفًا أبد الدهر وإن

توهمت أنه أُغلِق ولم يعد ينزف ضع نفسك فِي موقفٍ مُشابه لتدري هل توقف حقًا أم مازال يقطر دمًا وأنت من توهمت ذلك.

***

بعد مرور سبعة أعوام.

كان يقطع الخشب بذلك المنشار اليدوي وحينما انتهىٰ رفع رأسه ثُمّ نظر إلى السماء التي تكاثفت عليها الغيُوم وابتسم بسمة هادئة تمتزج بالحُزنِ وهو يتذكر كيف رحلت والدته عن الحياة وتركته هُنا ولن يقول وحده لأنها لم تتركه وحده تركت معه حكمتها وظهر هذا جليًا في الآونة الأخيرة، في ردود فعله حينما يصاب بموقفٍ يحتاج لفِطنة فيكون حكيمًا كما كانت، وكان يستحضر كلامها في عقله عن الحياة وعن كل ما حدثته به قبل وفاتها، نظر ليديه ثُمّ ابتسم بخُبثٍ شديد وحاول إخراج قوته ولكنه لم يفلح، حاول مرة أخرىٰ وفشل.

نظر ليديه بضجرٍ شديد ثُمَّ حدثها قائلًا:

- أنتِ يد عنيدة، تحتاجين للتأديب.

ثُمَّ ضحك علىٰ نفسه، يُكلم يديه؟ لا بد أنه جن حقًا، قاطع ضحكه صوت "ريڤال" تصيح قائلة:

- داميانوس، الغداء.

تنهد ثُمَّ حمل الخشب الذي قطعه وسار للكُوخ وحينما اقترب وجد "ريڤال" تقف أمام البحيرة ببسمةٍ وهي تُداعب الأسماك الصغيرة، اقترب منها ثُمّ قبّل يدها فابتسمت ثُمُ ربتت على ظهره وقالت:

- هيّا، لتتناول طعامك.

ابتسم لها ثُمَّ دلف معها وجلس على الطاولة وبدأ في تناول طعامه، وحينما انتهى نظر لغرفة والدته والتي أصبحت تغفو بها "ريڤال" وقال بتذكر:

- صحيح، لِمَ تحوَّل جسد أمي لهباءٍ بعد موتها؟ كنت أنسى سؤالك في هذا الشيء.

- حينما تتوفى الجنية تتحول لهباءٍ باللون الأبيض اللامع وتأخذها الرياح بعيدًا، يُقال أنها تأخذها لعالمٍ آخر يحيون به بعد الموت وحينما يصلون إليه يتحوَّل الغبار إلى هيئتها مرة أخرى وتحيا هُناك مع من تحب.

أومأ لها "داميانوس" بتفهمٍ، نظرت له "ريڤال" ثُمّ قالت وهي تنتصب من مكانها وتأخذ الأطباق:

- اجلب سيفي وسيفك لنتقاتل، كما أنني سأُعلمك كيفية استحضار قوتك بنفسك.

أومأ لها بحماسٍ طفيف ثُمَّ وثب من مكانه ودلف لغرفته وخرج بسيفه وسيف ريڤال، وقف أمام الكوخ حيث تنتظره "ريڤال"، كانت الشمس توشك على الغرُوب فكان المشهد بديعًا ومُريحًا للنفس.

- يا لها من طبيعة خلابة!

- إن التأمل والتفكر فِي الطبيعة؛ يُريح النفس ويرسل الطمأنينة والسكينة للفُؤاد، فهي جميلة جدًا.

قالتها "ريڤال" ثُمَّ ابتسمت له فبادلها البسمة ثُمّ أمسك سيفه ونظر لها بتحدٍ قاتل كما كان ينظر لوالدته ولكن تلك النظرة كانت أكثر شراسة وثباتًا وثقةً.

نظرت له "ريڤال" ثُمّ قالت بازدراء:

- سأتغلب عليك يا صغير.

ابتسم بزاوية فمه ثُمَّ قال بثباتٍ:

- لنرىٰ إذن.

- لن تستطيع الوقوف أمامي صدقني.

صدحت ضحكات "داميانوس" في الأجواء ثُمَّ قال بثباتٍ بعدما جاهد لإيقافها:

- مَنْ يتحدث كثيرًا لا يفعل شيئًا، اجعلي حديثك لنفسك، لأنكِ لو هزمتِ سيكون شيئًا مؤسفًا جدًا وهذه نصيحة مني لكِ يا خالتي.

ابتسمت "ريڤال" بجانب فمها ثُمَّ بدأت في قتاله فأصابته ببعض الجروح في جسده ثُمَّ جرح عميق في كتفه جعل الدم ينزف بغزارة شديدة، وضع يده عليه ثُمّ رفع نظره لـ "ريڤال" التي ابتسمت بسخريةٍ، فابتسم بثقةٍ

ثُمَّ ضرب ضربةً جرحتها فِي كتفها ولكنه لم يجعله عميقًا، ثم بدأ في قتالها رُغم ألم كلٌّ منهما حتىٰ سقطت "ريڤال" على الأرض.

نظر لها "داميانوس" ثم قال ببسمة هادئة وهو يضع سيفه جانبًا ويمسك يدها لتنهض:

- أخبرتكِ أن الحديث الكثير لا يُفيد، الفِعلُ أبلغ، لا تتحدثي بل نفذي.

ابتسمت "ريڤال" ثُمّ هبّت واقفة وقالت بإعجابٍ بابن شقيقتها:

- تُعجبني ثقتك في نفسك يا داميانوس.

رفع كتفيه ثُم قال بهدوءٍ وعين ثاقبة:

- هكذا علمتني ديليشيا.

ابتسمت له ثُمّ ربتت علىٰ كتفه فتلطخت يدها بالدماء فدلفا للكوخ معًا، وكادت أن تنظف جرحه فأخذ هو منها وبدأ في فعل هذا لنفسه وحينما انتهى طهره ثُمّ وضع عليه قماشة بيضاء ليمنع تدفق الدم، ثُمّ نظر لـ "ريڤال" التي جرح كتفها ولكنه لم ينزف إلا قليلًا ففعل معها كما فعل لنفسه، وبينما يفعل هذا لشقيقة أُمه زاغ بصره وشرد فِي ذكرىٰ مشابهة حينما جرحت يد والدته ثُمّ نظفها وطهرها، ابتسم بيأسٍ ثُمَّ أغمض عينيه وحينما تمكن مِن منع سقوط عَبراته، فتحها ثُمّ نظر لـ "ريڤال" ببسمةٍ.

- هل أنت مستعد لكيفية استحضار قوتك أو لنكون أدق كيفية التحكم بها؟

- لِمَ لا؟

قالها ثُمَّ غمز لها بعبثٍ، ضحكت بيأسٍ ثُمَّ قالت:

- حسنًا، ألحق بي يا قوي.

قالتها ثُمَّ خرجت فخرج وراءها ثُمّ وقف في المكان الذي كانا يتقاتلان فِيه منذ قليل وجاءت "زيتونة" فحملها ثُمّ سألها بزهوٍ في نفسه:

- رأيتيني يا زيتونة؟ تغلبت علىٰ ريڤال الشرسة.

- كنت رائعًا أيها الفارس.

ابتسم لها ثُمَّ أنزلها، فكانت تقف هي بعيدة قليلًا تراقبهما بعينيها.

- زيتونة، لم أرَ لُونا منذ خمس ليالي!

- ولا أنا يا داميانوس ولكن لا بأس، أنت تعرف لُونا تُحِب التجول في جميع أنحاء الكون.

كانت "ريڤال" تقف أمامه فأنهىٰ حديثه مع "زيتونة" ثُمَّ نظر لها فقالت بجدية شديدة:

- يجب عليك أن تُؤمن بقوتك ونفسك، ولكي تتمكن مِن إخراجها خُذ شهيقًا وزفيرًا وحاول إخلاء ذهنك مِن أي شيء ولا تضع سِوىٰ قوتك في رأسك وأغمض عينيك ثُمّ حرك يديك بقوةٍ أمامك وحينها ستندفع قوتك أمام عينيك، فقط ثِق بنفسك وبها.

نظر لها ثُمَّ راقبها وهي تفعل ما أخبرته به، تنفست بهدوءٍ وكانت مغمضة الأعين وفجأة شعرت ببرودة فِي يدها ثُمّ فتحتها وحركتها بعُنفٍ فانهال الماء من بين يديها، نظر لها بإعجابٍ ثُمَّ فعل ما فعلته، تنفس بهدوءٍ شديد وأغمض عينيه وهو لا يفكر سوى بقوته ولكنه لم يشعر بشيء، حاول مجددّا ولم يشعر بشيء فتح عينيه فلم تظهر قوته.

- استمر في المحاولة يا داميانوس، لن تأتي من أول مرة، أنا وديليشيا نثق بك.

ابتسم بسمته الباردة ثُمَّ قام بتصفية ذهنه ولم يفكر سوى بالنار والاشتعال، شعر بالحرارة تجتاح جسده بأكمله وكذلك يديه، فتح عينيه ثُمّ نظر لها فدعمته بنظراتها، حرك يديه بعُنفٍ فانبثقت منها نار واشتعلت خصلاته الحمراء الكثيفة وظهرت هالة أحاطت به، وعلى حِين غرَّة كانت هُناك جمرة كبيرة على الأرض ثُمَّ وقع "داميانوس" بإرهاقٍ، استخدمت "ريڤال" وقتها لتطفئ النار ثُمَّ اقتربت من "داميانوس" ووضعت يدها على كتفه.

- داميانوس.

رفع عينيه بإرهاقٍ ثُمَّ قال:

- الأمر مُرهِق لأبعد حد!

- الأمر ليس بذلك السوء فقط لأنها أول مرة.

- هل يُمكنني التجربة مجددًا؟

- لا ستُرهق أكثر ومن المحتمل أن تفقد وعيك.

- أرجوكِ.

لم يسمع ردها حيثُ وقف وفعل ما فعله منذ قليل وتكرر نفس الأمر ماعدا سقوطه على الأرض بل كان الأسوأ لأن النار كانت تندفع من يديه بلا إرادةٍ منه حتى تحول المكان الواقفين به لمكان مُشتعِل وفي طريقه للاحتراق الكامل، حلقت "ريڤال" ثُمَّ تمتمت بعدة كلمات ورفعت يدها وحرَّكتها بسرعة البرق فاندفع من البحيرة ماء غزير غرق مكانهما ولكن الهالة النارية المُحيطة بـ"داميانوس" منعت الماء من تبليله.

- داميانوس، ردد تلك الكلمات الآن.

قالت كلمات ما فرددها "داميانوس" ثُمَّ اختفت النار من يديه ولم يشعر بسخونة جسده، جلس على ركبتيه بإنهاكٍ، تنهدت "ريڤال" ثُمّ هبطت على الأرض واقتربت منه قائلة:

- كفى اليوم حتى لا تتعب أكثر.

نظر لها باستفسارٍ عن الكلمات فقالت:

- هذه تعويذة لكل من لا يستطيع التحكم في قوته في بداية استخدامها.

ثُمّ رمقته ببسمةٍ وقالت بفخرٍ كبير:

- أفخر بك أيها المُحارب.

ابتسم لها بهدوءٍ ثُمَّ ولجا الاثنان للكوخ، فدلفت لغرفتها بعدما ربتت على كتفه ودلف هو لغرفته ونظر من النافذة وعلىٰ كتفه تستقر "لُونا."

- قضيتِ فترة طويلة هذه المرة.

- كان الوضع مُمتعًا.

ابتسم لها ثُمَّ قص عليها ما فعله مَع "ريڤال" وعن قوته ثُمَّ قال بنبرةٍ متلهفة للإجابة:

- هل تعتقدين أن ديليشيا فخورة بي يا لُونا؟

- بالطبع فخورة بك يَا داميانوس، أمَّا عن عدم تحكمك في قوتك فأنت ما زلت في البداية، والبدايات دائمًا صعبة ولكنها تحتاج مُحارب بحق حتى تصبح سهلة وعادية.

ابتسم لها ثُمَّ غمز بخبثٍ وأخرج جسده من النافذة بخفةٍ فحلقت "لُونا" حوله، جلس أمام البُحيرة وهو يتمعن في زُرقتها الخلابة أو يتمعن في ملامحه التي تضاهي والدته، وآهٍ حينما يتذكر معلمته الأولى والوحِيدة.

شعر بالألم يغمر أضلعه فقال بصوتٍ ظهر به الحزن بوضوحٍ:

- اشتقت لها، لم أكن أتخيل أنني سيأتي يوم ولن أراها فيه، حتى في أسوأ كوابيسي لم أفكر في هذا أبدًا.

وضع وجهه بين كفيه ثُمَّ بكى بنشيجٍ خافت حتى لا تسمعه "ريڤال"، قضىٰ السبعة أعوام هادئًا لا يشاكس أحدًا كعادته، أصابه رحيل

"ديليشيا" بالجمود والألم، يحاول التظاهر أنه بخير ولكن الأمر يُؤلِم لم يعد يستطيع قول أنه بخير وكتم مشاعر الحزن بداخله، لقد بدأ في الانهيار تدريجيًا وهو يستعيد ذكرياته مع أُمه، رحل أبوه حينما كان في السابعة ورحلت والدته حينما كان في الحادية عشر من عمره، والآن هو في الثامنة عشر وفؤاده مُتصدع، رغم قوته ولكنه فِي النهاية هش للغاية ويحتاج لمن يربت عليه وأن يقص عليه كل أوجاعه ولا يشعر بالوجل من البوح..

أخرجه من تفكيره يد توضع على كتفه، التفت بسرعةٍ ثُمَّ أزال دموعه وقال بصوتٍ مبحوح:

- لِمَ لَمْ تنامي؟!

لم تتحدث بل جلست بجانبه ثُمَّ سحبت جسده ليستقر بفحو ضلوعها وقالت:

- ابكِ يا داميانوس، لا تكتم حزنك أكثر، أنت تنفجر يا بُنيّ.

بكى بين أحضانها وهو يتشبث به كأنه وجد ملاذه الآمن، ربتت عليه وكانت تقبل جبينه بحنوٍ، وهو مازال يبكي ويتمتم باسم "ديليشيا" بين ذراعيها، هبطت دمعة متمردة مِن عينيها فأزالتها بهدوء، هدأت شهقاته بداخل عناقها حتى خفتت تدريجيًا فنظرت لهُ فوجدته سكن وكان يرمق البحيرة في هدوءٍ.

ربتت عليه ثُمَّ قالت بنبرةٍ حنون:

- أعلم أنك تحاول التظاهر بأنك بخير، وأنك تخطيت موت ديليشيا وجميعنا نفعل هذا، لَمْ يكن موتها سهلًا أبدًا يا داميانوس، والدتك حينما تركتنا انقسم القلب لرحيلها ولكنها الحياة مهما فعلنا لن نستطيع تغيير القدر، الحُزن لا يفيد الآن، تذكرها وابتسم واثبت لها أنك طفلها النبيل ومُحاربها القوي كما كانت تريد منك، ولا تنسَ أنها تفخر بك دائمًا وتثق بك فوق ما تتخيل أنت، إنها أمك ولا أحد يستطيع أن يُحبك مثلها.

ابتسم "داميانوس" ولم يجب، نظرت له بحنقٍ ثُمَّ قالت بضيقٍ مصطنع:

- لقد بللت قميصي الجميل أيها الفتىٰ المدلل.

نظر لها بلامبالاةٍ ثُمَّ قال:

- لا يُهم

رمقته بغيظٍ شديد، فنهض هو من مكانه ثُمَّ ركض ليهرب منها وكانت هي تركض وراءه بغيظٍ وحينما تعرقل في الحجر الذي أمامه وسقط على وجهه صدحت ضحكات "ريڤال" عليه حتىٰ يَئس هو وشاركها الضحك..

***

في اليوم التالي - الساعة العاشرة صباحًا.

كانا يقفان أمام الكوخ و"داميانوس" يحمل حقيبته علىٰ ظهره، والحقائب الأخرىٰ يحمل بها الأخشاب وبعض الفاكهة لبيعها في السوق.

نظرت له "ريڤال" ثُمّ قالت ببسمةٍ:

- ستمكث بضع أيام؟

- ثلاثة أيام.

ربتت علىٰ كتفه ثُمَّ قالت بتحذيرٍ:

- تحكم في غضبك حتى لا تندفع قوتك.

أومأ لها ثُمّ عانقها وحينما ابتعد قليلًا التفت ثُمَّ أشار لها علامة الوداع، وكانت ترافقه في تلك الرحلة "زيتونة" كعادتها، أمَّا "لُونا" فكانت في الغابة مع "ريڤال".

بعد مرور ساعتين تقريبًا من السير المتواصل والمُتعِب، وصل إلىٰ وجهته حيث السوق، اقترب مِن مكان عمله ثُمّ وضع الخشب وبدأ سعيه ليعثر على رزقه، مرَّ بعض الوقت ثُمّ أتت فتاة علىٰ رأسها قماشة وتسير علىٰ استحياءٍ حتى وقفت أمامه، رفع نظره فاستغرب قليلًا مِن تلك القماشة التي تضعها رغم أنه يرىٰ النساء هنا يضعن تلك القماشة فوق خصلاتهن ولكنه لم يستطع معرفة السبب أبدًا.

كانت الفتاة تنظر في الأرض ثُمَّ قالت بهدوءٍ شديد:

- أُريد بعض الفراولة.

قالتها ثُمَّ أعطته النقود، فوضعها في سترته ثُمّ أعطاها الفراولة وقال بنبرةٍ هادئة:

- تفضلي.

أخذتها الفتاة بهدوءٍ ثُمّ قالت بنبرةٍ هادئة وما زالت عيناها في الأرض:

- شكرًا لك.

ابتسم لها فرحلت هي، تابع أثر رحيلها حتى اختفت عن عينيه فعاد لعمله وبعد انتهائه منه كانت الساعة الرابعة تقريبًا، فجمع ما تبقى معه ثُمَّ نظر بجانبه فوجد رجلًا عجوزًا يحاول رفع الحقيبة فلم يستطع تجاهله، اقترب منه ثُمّ حمل عنه الحقيبة وأوصله للمنزل فشكره العجوز.

نظر له "داميانوس" ولم يستطع كبح فضوله فقال:

- معذرةً، هل لي بسؤال؟

- تفضل يا بني.

- رأيت النساء يرتدين قماشة ولا تظهر خصلاتهن، فلماذا؟

نظر له الرجل ثُمّ قال بنبرةٍ هادئة:

- إنه دين الإسلام يا بُنيّ، يفرض على المرأة ارتداء الحِجاب الذي تقول عليه قماشة.

ابتسم له "داميانوس" ثُمَّ شكره ببسمة خفيفة ورحل ولا تنفك كلمة الإسلام عن مغادرة ذهنه، يتذكر أنه سمع تلك الكلمة من قبل ولكنه لا يتذكر أين.

نظر لـ "زيتونة" ثُمّ حملها وقال بصوتٍ خافت:

- زيتونة، لقد سمعت تلك الكلمة من قبل ولكن لا أتذكر أين.

نظرت له ثُمَّ قالت بهمسٍ أيضًا:

- حاول التذكر.

أومأ لها ثُمَّ تجول في الطُرقات لوقتٍ طويل ثُمّ ذهب لمحل بيع الأسماك واشترىٰ منه وبينما هو يتجول سمع صوتًا غير مألوف بالنسبة إليه يقول:

- 'الله أكبر، الله أكبر'.

شعر بالراحة تتغلغل في أوصاله وقال ببسمةٍ:

- يا لهُ من صوتٍ مُريح.

وحينما وصل لذلك البناء الذي يحتوي على عدة طوابق، ابتسم للحارس فبادله الآخر البسمة وقال:

- اشتقت لك يا داميانوس.

- وأنا أيضًا يا عم طه.

قالها ثُمَّ عانقه باشتياق وجلس معه قليلًا بالأسفل يشرب معه الشاي وبعد مرور الوقت صعد لشقته التي قام بتأجيرها للبيات هنا ثُمَّ جلس على فراشه.

- يجب أن أتذكر أين سمعت تلك الجملة، حاولي أن تذكريني يا زيتونة.

نظر لها فوجدها قد غفت، ابتسم بيأسٍ ثُمَّ نهض من على الفراش ونظر من النافذة للغابة التي تبعد كثيرًا عن هنا، غامر وحاول استدعاء قوته ففعل ثُمَّ تمتم بالكلمات حينما ظهرت خشيةً من العواقب فاختفت، بعد مرور ثلاث ساعات كان ما زال يقف أمام النافذة وهو يحاول التذكر.

نفخ أوداجه بغيظٍ ثُمّ قال:

- تبًا، لماذا أصبحت ذاكرتي كالسمك هكذا؟

ثُمَّ أغمض عينيه فأتى فجأة فِي أذنه صوت والدته وهي تقول:

- آخر شيء سأُخبرك بِه هو أن هناك دينًا يُدعى الإسلام يا داميانوس، لا أعرف عنه الكثير ولَا أعرف سوى ما سمعته مِن حديث الناس عنه، يقولون أنه الحق ويجدون ضالتهم به ويشعرون بالراحة حينما يُتلى عليهم شيء يسمى 'القرآن'.

فتح عينيه ثُمّ قال بدهشة ممزوجة بالسعادة:

- إنه الإسلام الذي أخبرتني أُمي عنهُ، لقد تذكرت! لقد تذكرت!

قال آخر حديثه بلهفةٍ ومن ثُمّ التفت فوجد "زيتونة" مازالت نائمة، رمقها بضجرٍ أصبحت تنام كثيرًا تلك الأيام.

- زيتونة حبلة أم ماذا؟

قالها بسخريةٍ ومن ثُمّ ارتدىٰ ثيابه وخرج من البناء بأكمله، كان يسير فِي الطرقات كالتائه الذي يرجو أن يعثر على شيء يدله علىٰ ذلك الدين.

كان يتخبط في حيرةٍ، فلا يوجد أحد فِي الطرقات الآن، وأثناء سيره سمع ذلك الصوت الهادئ الذي أشعره بالراحة من قبل، تبعه بلهفةٍ حتىٰ وصل لبناءٍ عجيب مُعلق عليه لافتة مكتوب عليها: "مسجد....."

نظر خلفه فلم يجد أحدًا، لم يعرف هل ما يفعله صحيحًا أم خطأ ولكنه تقدم من ذلك البناء بخطى وئيدة ثُمّ دلف به فوجد القليل فِي المسجد، وقف علىٰ أعتابه بتوترٍ، لم يكن يرىٰ جيدًا فكان عقله في دوامة غريبة فلم ينتبه لأحد.

شعر بأحدٍ يضع يده علىٰ كتفه ويسأله بنبرةٍ حنون:

- هل هناك شيء يا بني؟

رفع رأسه فوجد رجلًا قد بلغ من الكبر عتيًا واعتلى الشيب رأسه وله وجه بيضويّ، قمحويّ البشرة ولدية أنف أقنى، وحاجبان كثيفان قليلًا، كانت ملامحه هادئة تبعث الطمأنينة فِي الفُؤاد، وتلك البسمة التي تعتلي شفتيه كانت بسمة حنون كنبرته تمامًا.

لم يتحدث "داميانوس" فنظر له ذلك الرجل ومَدَّ يده وقال ببسمةٍ:

- أنا يُوسُف وأنت؟

- داميانوس.

- هل أتيت لتصلي الفجر يا داميانوس؟

نظر له ثُمّ قال بنبرةٍ حاول صبغها بالهدوء:

- أنا فقط، جئت أسأل عن دين يُدعىٰ الإسلَام.

- إذن أنت جديد به؟

- لا لست جديدًا، كل ما في الأمر أن والدتي أخبرتني أنكم تقولون عنه دين الحق فأردت أن أعرف ما ماهية ذلك الدين.

قالها باندفاع فربت الشيخ علىٰ كتفه ثُمّ قال بنبرةٍ هادئة:

- يمكنك انتظاري، حتىٰ أنتهي مِن الصلاة لأنها ستُقام الآن وأخبرك.

أومأ له ثُمَّ خرج مِن المسجد وجلس علىٰ الدرج في سكونٍ، بدأ الشيخ فِي تلاوة القرآن فشعر "داميانوس" بنبضات قلبه تزداد، كان الأمر غريبًا عليه كُليًا.

انتهىٰ الشيخ مِن الصلاة بعد مدةٍ، فخرج الجميع مِن المسجد عائدين لمنازلهم وفراشهم، فقد تركوا لذة النوم مِن أجل الصلاة ولم يتكاسلوا عن أدائها فالصلاة خيرُ من النوم، كُل منهم كان يصلي بنفسٍ مُختلفة: منها حزينة تُريد الجبر، ومنها الهادئة التي تنعم بالراحة بجوار الله، كانوا ساجدين يشكون مصيبتهم لخالقهم، ويسمعهم جميعًا في وقتٍ واحد ثُمَّ يُجيب دعواتهم وقتما يُريد وهو أعلمُ بالميعاد الصحيح للحصول على ما ترغب، يهون عليهم ربهم المشقة والتعب،وكم كانت الصلاة مُريحة وتجبر الخاطر وتهون المصاعب، فكان سيد الخلق صلّ الله عليه وسلم

يقيم الليل كله بين يدي الله متضرعًا له، ويكثر مِن ذلك الدعاء 'ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار' رُغم أنه نبيّ وأطهر الخلق ولكنه لم ينفك عن الدعاء بهذا، حافظ على صلاتك فأنت لا تدري متىٰ تموت يا صديقي وتذكر أن أول شيء يسأل عنه العبد " الصلاة. "

خرج الشيخ فوجد "داميانوس" جالسًا على الدرج، اقترب منه ثُمّ قال بنبرةٍ هادئة:

- لن نستطيع التحدث هنا، يمكنك المجيء لمنزلي ثُمّ نتحدث.

قال بأدب:

- شكرًا لك ولكن لا يمكن أن...

لم يكمل حديثه حيث قاطعه الشيخ قائلًا:

- ستأتي يا بُنيّ، فهذا حديث يطول، والمسجد سيُغلق الآن.

استسلم لهُ فأغلق الشيخ المسجد ثُمَّ سار وبجانبه كان يسير "داميانوس" بهدوءٍ.

- أنت غريب عن القرية صحيح؟

- بلىٰ، أنا أعيش في الغابة مع شقيقة أمي.

- أدامها الله لك وبارك في عمرها.

ابتسم له "داميانوس" وبعد قليل وصلا لمنزل الشيخ، طرق الباب وقبل أن ينفتح قال بصوتٍ رصين:

- ارتدي حجابك يا ابنتي، معي ضيف.

امتثلت لأمر والدها ثُمَّ ارتدت حجابها وفتحت الباب، لم يرفع "داميانوس" عينيه احترامًا للشيخ، دلف "يُوسُف" ودلف وراءه "داميانوس"، ثُمَّ أغلقت ابنته الباب، أخذه "يُوسُف" مِن يديه ثُمّ دلفا لغرفة الضيوف.

نظر له الشيخ ثُمّ قال ببسمةٍ:

- ماذا تعرف عنه؟

- لا أعرف شيئًا سوى ما قالته والدتي منذ سبعة أعوام، أعرف أنك تفعلون شيئًا يُسمى الصلاة، وكذلك الصوم ولا أدري ماهيته، والقرآن، لا أعلم شيء آخر.

ابتسم له ثُمّ ربت على قدمه وقال بنبرةٍ هادئة:

- سأحاول جاهدًا تعليمك إياه ولكن قبل أن ابدأ معك فِي الإسلام يجب أن أقول لك بعض الأشياء.

استفسر منه "داميانوس" فنظر له وقال:

- يجب أن تعرف أن الإسلام نزل على الأنبياء وكان آخرهم سيدنا مُحمد صلّ الله عليه وسلم والذي أنا وأنت مِن أمته.

- ومن هُم الأنبياء؟

قالها بفضولٍ.

- الأنبياء هم مثلنا بشر يرسلهم الله ليعلموا الناس الدين ويرشدونهم للحق ويصدونهم عن الضلال ويقولون ما يتليه عليهم ربهم مِن فرائض وسنن ولكنهم أعظم مِنّا في المقام.

أومأ له بتفهمٍ فقال "يُوسُف" بعدما تنهد:

- كان أول الأنبياء سيدنا آدم عليه السلام والذي خلقه الله مِن تراب ثُمّ جعله إنسانًا متكاملًا بعدما مرَّ بعدة مراحل سنعرفها فيما بعد، وهو أول بشريّ علىٰ الأرض، فكان في السماء الله الخالق والمعبود الوحيد والملائكة التي تسبح له ولا تعصي له أمرًا، وحينما خلق الله آدم عليه السلام خلقت من ضلعه زوجته 'السيدة حواء'.

وقد قال الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه العزيز حينما خلق آدم:

﴿وَإِذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنّي جاعِلٌ فِي الأَرضِ خَليفَةً قالوا أَتَجعَلُ فيها مَن يُفسِدُ فيها وَيَسفِكُ الدِّماءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنّي أَعلَمُ ما لا تَعلَمونَ﴾

[البقرة: 30]

- ربنا سبحانه وتعالىٰ خلق آدم ليسكن الأرض ويعمرها ويأتي بعده قوم يخلف بعضهم بعضًا لعمارتها، وحينما أخبر الله الملائكة بالأمر قالوا: إن من شأن البشر الإفساد في الأرض وإراقة الدماء ظلمًا وعدوانًا، ونحن

طوع أمرك والوظيفة التي خلقنا من أجلها هي التسبيح لك فما الغاية من خلقهم؟ فأخبرهم الله أنه يعلم ما لا يعلمون ويعلم ما الغاية من خلقهم ولا يعلمها غيره. « تفسير الآية»

- الله سبحانه وتعالىٰ يا داميانوس، يعلم ما تخفيه في صدرك ولا يعلمه أحد، يعلم ما يُحزنك ويُعكِر صفوك ويقدر لك الخير حيث كان، وحينما خلق آدم كانت هُناك غاية مِن خلقه، حاشاه أن يَخلِق الشيء عبثًا، فهو يضع مقدار لكل شيء، ويعلم ما لا يعلمه أحد، ومن صفات الرَب أنه يُربيك ويهذِب نفسك وكذلك غرائزك، فلا تظن أن الإسلام يمنعك من فعل ما تريد، هو فقط يُهذبك ويضع للأشياء أساس.

- ثُمّ الله هو الواحد الأحد لا إله ولا رب معه، فهو خالق ومُقدر كل شيء ولا تستطع فعل شيء فِي حياتك بدون توفيقه والتوكل عليه.

- لم يُخلق صحيح؟

قالها بحذرٍ شديد.

- الله سبحانه وتعالىٰ يَخلِق، هو خالقٌ وليس مخلوقًا يا داميانوس...

قاطع حديثهما طرق الباب، ولجت ابنة الشيخ وهي تسير علىٰ استحياءٍ ثُم وضعت القهوة والفواكه علىٰ الطاولة أمامهما وخرجت بخطىٰ سريعة.

قد "يوسف" لـ"داميانوس" الفاكهة فشكره وظل يلعب بالتفاحة بين يديه ثُمَّ قال:

- ما الدليل على أنه دين الحق؟

- يوزان بين متطلبات الروح وبين حاجات البدن، ما يُحرمه أو يمنع الشخص من فعله هو له أثار سيئة على النفس، شرب الخمر فهو مُحرم لما له من أضرار نفسية كما أنه يُذهب العقل وهذا ما يجعل البشري لا يختلف عن الحيوان! فقد ميز الله الإنسان بالعقل أيّ أنك لديك قدرة على التفكير والتحليل وهذا لا يتمكن الحيوان من فعله، يؤدي شرب الخمر إلى فعل الفواحش ومن أمثالها الزنا، ويؤدي لارتكاب جرائم لا حصر لها ومنها القتل، وتجعل الشخص عدوانيًا، وهذا حديث يطول سأقوله فيما بعد، أمَّا أضرار شرب الخمر للجسد فهي من الممكن أن تصيبك بمرض السرطان وتسبب تلف في البنكرياس ومشكلات في القلب، ويكفي من كل هذا أنها تضيع العقل وتمنع قدرتك على التفكير.

نظر له "داميانوس" ثُمّ قال بفاهٍ مفتوح:

- كل هذا؟

- وأكثر يا داميانوس، الله لا يُحرم شيئًا إلا لأنه يسبب ضرر للإنسان.

- والصوم؟

- لا نتناول الطعام مِن أذان الفجر وحتى أذان المغرب في شهر رمضان.

- لِمَ؟

- فرض من الله عزَّ وجل لعباده.

- ألا تشعرون بالجوع؟

- نشعر بالجوع أحيانًا، ولكن أتدري؟ حينما تتقرب إلى الله عز وجل وتُحبه، ستفعل أيّ شيء لأجل مراضاته، ستجد في الصلاة لذة لم تجدها من قبل، ستجد في القرآن دواء لروحك، ستحب كل شيءٍ يحبه الله وتبغض كل شيء يبغضه الله ويغضبه.

نظر له ثُمَّ قال بنبرةٍ هادئة:

- وماذا عن الصلاة؟

- هُم خمس صلواتٍ فِي اليوم، الفجر وهو ركعتان، والظهر أربع ركعات، والعصر أربعة، والمغرب ثلاثة والعشاء أربعة وهناك بعض السنن سنقولها فيما بعد.

نظر له ثُمَّ قال باستفسارٍ وخجلٍ طفيف:

- وكيف أُصلي؟

نظر له ثُمَّ قال:

- يجب أن تقوم بإعلان إسلامك أولًا.

- أقول أسلمت وهكذا سأسلم؟

ضحك الشيخ بخفةٍ ثُمَّ قال بنبرةٍ هادئة:

- بل تقول 'أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمدًا رسول الله'

ثُمّ قال:

- غدًا في المسجد إن شاء الله، سأجلس معك بعد الصلاة وأقول لك أشياء أكثر تُثبت أنه دين الحق وكل ما يلزم في بداية معرفتك للإسلام، فقط خُذ الخطوة.

ابتسم له "داميانوس" وأغمض عينيه ثُمَّ فتحها بتروٍ وقال بنبرةٍ هادئة جدًا:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحمدًا رسول الله.

ابتسم له الشيخ ثُمّ قال ببسمةٍ وهو يُربت على كتفه:

- أسأل الله أن يجعلك من الصالحين والحافظين لكتاب الله العاملين به.

ابتسم له ثُمّ قال:

- سأرحل.

- يمكنك البقاء هنا الليلة.

- أعتذر لن أستطيع البيات، قطتي وحدها.

- حسنًا، لا تنسَ أن تأتي للمسجد لتُصلي.

- كيف أصلي إذن؟

نظر له الشيخ ثُمَّ قام من مكانه وخرج للمرحاض ثُمّ توضأ وكان "داميانوس" يحفظ ما يفعله وكذلك توضأ هو الأخر، ثُمّ دلفا للغرفة فبدأ في شرح كيفية الصلاة وكان يقلده تمامًا حتىٰ حفِظ ما يقال في الركوع والسجود وما يقال قبل التسليم.

انتهىٰ من تعليمه فقال "داميانوس" بامتنانٍ:

- شكرًا لك.

- الشكر لله.

ثُمَّ خرج من المنزل، أغلق "يوسف" وراءه وحينما التفت وجد ابنته التي سألت:

- مَنْ هذا يا أبي؟

- فتىٰ دخل في الإسلام يا بلقيس.

ابتسمت له ثُمَّ قالت بسعادة:

- أعز الله الإسلام والمسلمين.

ابتسم لها وصمت، فارتمت على والدها الذي ضواها إليه بحنوٍ وهو يربت على خصلاتها السوداء حتى نامت.

***

في اليوم التالي الساعة الثانية عشر ظُهرًا.

استيقظ بكسلٍ شدِيد ثُمَّ نهض من مكانه وربت على رأس "زيتونة"، دلف للمرحاض ثُمَّ أبدل ثيابه وبعدها أحضر طعامه وطعام "زيتونة".

- ابقي هنا يا زيتونة حتى أعود.

ثُمّ خرج ركضًا مِن المنزل حتى وصل للمسجد ودلف بخطى خائفة رُبما، نظر له الشيخ ثُمَّ طمأنه بنظراته فاقترب منه ثُمّ جلس بجانبه وقال بهمسٍ:

- هل بدأت الصلاة؟

نفى "يُوسُف" وبعد قليل وثب ثُمّ أقام الصلاة وبعد انتهائه صعد على المنبر يخطب خطبة يوم الجمعة، وكان يستمع له "داميانوس" بانتباهٍ شديد فكان يتحدث عن كيفية الدخول في الإسلام ومن أين جاء الإسلام وتحدث عن شك معظم البشر بالله وما الدلائل على أنه خالق كل شيء، أقنع "داميانوس" الذي شعر بلذةٍ وراحة تتغلغل لصدره حينما استمع لحديثه، وحينما أنهى الخِطبة، خرج الجميع مِن المسجد ليواصلوا عملهم.

اقترب يوسف من "داميانوس" ثُمَّ قال بنبرةٍ هادئة:

- هل لديك عمل؟

نفى برأسه ثُمَّ قال:

- ليس الآن، سأخرج بعد قليل لفتح محلي.

ابتسم له "يُوسُف" ثُمّ قال بنبرةٍ تتسم بالهدوء:

- سأقوم بتحفيظك بعض سور القرآن القصيرة لكي تستطيع الصلاة بها، ولكن قبل ذلك سأخبرك بأركان الإسلام وبعض الأشياء التي يجب أن تعرفها عن ربك وسأكمل قصة أول الأنبياء آدم عليه السلام لكي تزداد يقينًا.

أومأ له بحماسٍ ثُمّ قال بتلهّف:

- لا أدري لِمَ ولكنني شعرت بالراحة تتعمق بداخلي حينما صليت وأنت تتلو القرآن، كان شعورًا لطيفًا.

ابتسم له الشيخ ثُمّ بدأ فِي شرح كل شيء له ببساطةٍ شديدة وكان "داميانوس" يوقف حديثه ويسأله وحينما انتهى من تعرفيه بعض الأشياء التي يجب أن يعرفها عن الدين، فتح المصحف ثُمّ بدأ في تلاوة سورة الإخلاص وكان يردد وراءه "داميانوس" بهدوءٍ، وكذلك سورة الناس والفلق.

وبعد مرور ساعتين ونصف تقريبًا، كانا قد انتهيا، اِنتصب "داميانوس" من مكانه ثُمّ شكر الشيخ وخرج مُسرعًا عائدًا إلى داره ثُمّ صعد الدرج وأخذ الخشب والفواكه وبجانبه تسير "زيتونة" التي كانت تشعر بالخمول، وصل للسوق ثُمّ بدأ في البيع، وبعد قليل أغلق المحل ثُمّ ذهب ليصلي العصر وعاد مرة أخرى لمكان عمله، وبعدما انتهى الخشب وكذلك الفواكه، ذهب لمنزله ثُمَّ غفى قبل صلاة المغرب.

في المساء، كان قد انتهىٰ اليوم تقريبًا وقد أدى جميع الفروض، فكان يقف في الشُرفة يتأمل في القمر والنجُوم وقد لمح ظل بومة قادمة نحوه فاتسعت بسمته حينما وقفت "لُونا" على كتفه.

- لُونا، أريڤال بخير؟

- نعم لا تقلق، فقط أرادت الاطمئنان عليك.

- أنا بخير حمدًا لله.

ابتسمت له ثُمّ تركته بعد مدةٍ فرمق رحيلها ببسمةٍ ثُمَّ غفا بروحٍ مطمئنة بعيدة عن الضلال وظلمته فكانت تسعى للنور وهدايته.

***

بعد مرور ثلاث سنواتٍ.

كان قد تعلم "داميانوس" الأحكام الشرعية والفقه وكل علوم الدين، حفظ القرآن كاملًا وكان يحاول جاهدًا العمل به، فأصبح مع الشيخ "يُوسُف" يحفظ الصِغار في المسجد ويقيم الصلاة أحيانًا وكان يمتلك صوتًا يبعث الطمأنينة فِي المُهج ويساعد على الخشوع فِي الصلاة، وقد أخبر "ريڤال" بما يتعلمه فكانت تحفزه وتدعمه ليكمل في تعلمه حينما علمت أنه وصية والدته.

كان جالسًا في المسجد ليُقيم صلاة العصر ولم يأتِ شيخه "يُوسُف" فقلق عليه ولكنه تنهد ثُمّ أقام الصلاة وحينما سلم خرج الجميع من المسجد وكذلك هو استأذن من الصِغار ليرىٰ الشيخ "يُوسُف" ثُمّ يعود.

وصل إلى منزله فطرق الباب بخفةٍ، فتحت "بلقيس" الباب فغض بصره ثُمّ قال:

- معذرةً، أين الشيخ يوسف؟

- في الداخل، تفضل..

شكرها ثُمّ دلف لغرفة "يُوسُف" ومعه "بلقيس" وحينما وجده راقدًا على الفراش بتعبٍ، اقترب منه بسرعةٍ ثُمّ قال بلهفة:

- عم يُوسُف هل أنتَ بخير؟

أومأ له "يُوسُف" ثُمّ ربت على خصلاته بحنوٍ، فاقتربت "بلقيس" فتنحنح من أمامه ثُمّ ذهب ليقف بجانبه من الناحية الأخرى، ساعدته "بلقيس" على الاعتدال وكذلك "داميانوس" فسعل بقوةٍ وحينما هدأ سُعاله أعطته الدواء وكانت عينيها متلألئة بالدموع التي جاهدت أن تحتجزها داخل عينيها ولكنها سقطت.

ضمَّ يدها بداخل يده ثُمّ أجلسها أمامه ومسح عَبراتها بأنامله وقال بنبرةٍ واهنة:

- لا تبكِ يا بلقيس، إن بُكائك أشدُّ عليّ من مرضِي.

أومأت له وكان يراقبهما "داميانوس" ثُمّ قال بنبرةٍ واثقة:

- سيشفيك الله عمّا قريب يا شيخي.

- إن شاء الله يَا بُنيّ، والآن أذهب للجامع وحفظ الصِغار وإن شاء الله ستجدني فِي صلاة المغرب.

- أنت مريض ابقى في المنزل.

- لا أستطيع يا بُنيّ، اشتقتُ للمسجد.

ابتسم له ثُمّ قبل جبينه وقال بنبرةٍ حنون:

- حسنًا يَا عم يُوسُف.

خرج مِن الغرفة وخرجت معه "بلقيس" فحمحم بخشونةٍ ثُمّ قال بنبرةٍ هادئة:

- اصبري واحتسبِي، سيُشفى والدك بإذن الله.

- أثق بهذا.

ابتسم لها ثُمَّ خرج من المنزل وحينما وصل للمسجد قام بتحفيظ الصِغار والتحدث معهم بمرحٍ وحينما اقترب موعد صلاة المغرب عاد لشيخه النبيل ثُمَّ جاء به للمسجد فقد كان "يُوسُف" يتأبط ذراع "داميانوس".

***

بعد مرور أسبوع - فِي الغابة.

كان يقاتل مع "ريڤال" بثقةٍ ولقد فاز هو بالقتال فنظرت له بفخرٍ اتضح جليًا في نظراتها، غمز لها ثُمَّ تمتم بعدةٍ كلمات مبهمة فظهر جناحان بديعا الشكل على ظهره وازداد شعر رأسه احمرارًا، وكان جسده متوهجًا، حلق في السماء وكذلك فعلت "ريڤال" وبدأ الاثنان يمرحان معًا كما كانت تمرح مع "ديليشيا"، دلفا للكوخ بعدما انتهيا وقد غفت "ريڤال"، بينما هو فظل مستيقظًا وهو يتذكر أول مرة ظهرت له الأجنحة.

«عودة للمَاضِي - منذ سنتين تقريبًا».

كان عائدًا إلى الغابة وحينما اقترب من الكوخ شعر ببعض الألم في ظهره ولكنه تجاهله وحينما وصل أمام البحيرة اصطدم جسده بالأرض فكان هناك وجعًا في ظهره لا يُحتمل، لم يستطع التحرك بتاتًا وكان يطلق تأوهات تنم عن ألمه، ظهرت "كارولينا" أمامه من العدم ثُمّ نادت على "ريڤال" التي خرجت بوجلٍ وحينما رأته وهو يتأوه ازداد وجلها، استعانت كل منهما بسحرهما ثُمّ رفعا "داميانوس" من على الأرض ودلفا به للكوخ حتى وصلا لغرفته ثُمّ وضعاه على الفِرَاش، كانت حرارته مُرتفعة وجسده يتصبب عرقًا، حاولت "كارولينا" تخفيف ألمه ولكنها لم تستطع لا بُد أن الأمر خارج قوتها.

- يا صبر أيوب.

قالها بوهنٍ شديد وهو يضغط على شفتيه بعُنفٍ، كان مغمض العينين، نهضت "ريڤال" ثُمّ جلبت الماء الدافئ أمام "كارولينا" التي فعلت

بعض الأعشاب له، قامت "ريڤال" بعمل الكمادات لتهدأ حرارة جسده وسقته "كارولينا" الشراب ولكن بلا جدوىٰ لم تهدأ حرارة جسده مُطلقًا بل كانت تزداد ارتفاعًا.

- ريڤال، ساعديني على النهوض لأُصلي.

- أنت معتوه؟ أنت لا تقدر على الحركة حت...

- ريڤال، أرجوكِ ساعديني.

توضأ ثُمّ جلس على المقعد وبدأ في الصلاة بوهنٍ شديد وحينما انتهىٰ ساعدته "ريڤال" ثُمّ أجلسته علىٰ الفراش وقد بدأ هو في رتل بعض آيات القرآن الكريم وكان يدعو بضعفٍ بلغ من جسده ونفسه.

- لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

- ربي إني مسنيّ الضُر وأنت أرحم الراحمين.

كان يكثر من ترديد دعاء سيدنا يُونس وأيوب وهو يضغط على الفِراش بيديه، نظرت له "ريڤال" ثُمّ قالت حينما تيقنت من شكوكها - إنها الأجنحة.

انتبه لها ثُمَّ قال:

- ماذا؟

- إن الأجنحة تنمو يا داميانوس.

وفي نفس اللحظة شعر كأن سهمًا يخترق ظهره لم يستطع التحمل فصرخ صرخةً اهتزت لها الأشجار بالخارج وأتت "لُونا" علىٰ أثرها ثُمَّ وقفت على بعدٍ ضئيل منه، نظرت "ريڤال" لظهره فقد انشق مكان الأجنحة وظهر جزء من الجناح الأيمن، تمتمت بعدة كلمات فتحولت لطبيعتها ثُمَّ حلقت في الكوخ وأمسكت بكوب الماء الفارغ الموضوع بجانبه ثُمّ كسرته، كان ينظر لها بعدم فهمٍ بينما هي فأغمضت عينيها ثُمّ ظهر في يدها كأسين ولكنهما ممتلئين بالدماء، اقتربت منه ثُمّ وضعت دم كأس منهما على جناحه الأيمن الذي ينمو فازدادت صرخات "داميانوس" حينما كررت نفس الوضع مع الأيسر، كانت الأجنحة تنمو ببطء شديد حتى اكتملت أخيرًا..

نظر لها بتعبٍ ولم يعد قادرًا علىٰ الحديث فأغمض عينيه بإنهاك ثم فقد وعيه، تنهدت "ريڤال" ثُمّ وضعت يدها علىٰ جبينه فوجدت أن حرارة جسده تنخفض تدريجيًا، تمتمت بعدة كلماتٍ لكي يغفو أطول وقتٍ مُمكن ثُمَّ دثرته بالغِطاء.

- لقد غفا يا لُونَا، سيكون بخير في الصباح.

- إن الأمر مؤلم!

- ليس مؤلمًا على الجنيات لأننا نولد به ولكنه مؤلم على الهجين.

خرج من شروده ثُمَّ ابتسم حينما تذكر تلك الليلة العصيبة، صراحة لم يكن سبب ابتسامته تلك الليلة، بل كانت هي! لم يجد مثل تلك الفتاة

مِنْ أخلاق ورقّة و... عنف نفسه ثُمَّ تمدد على الفراش وحينما تذكرها لاح شبه ابتسامة على وجهه الهادئ وغفا بعدها..

تعلم "داميانوس" كيفية التحول لبشري وكيفية التحكم في قوته ومتى يستخدمها ومتى لا فأصبح مُؤهلًا جدًا لأن يعود لعالم الجنيات المُثير للغرابة.

في اليوم التالي كان قد أسْجَفَ اللَّيْل وتنهد القمر بألمٍ حِينما تيقن مِن عدم ملاقاة الشمس أبدًا، فهما يختلفان عن بعضهما بشكلٍ جذري فكيف يتم اللِقاء؟ ولكن رُبما يتم اللقاء فِي يومٍ ما ولِمَ لَا؟ فلا مُستحيل لأن معك رب المستحيل.

في تمام الساعة الثامنة مساءً، كان "داميانوس" في قرية أرناتل ومعه "ريڤال" التي كانت ترمقه بضجرٍ وهو يسير ذهابًا وإيَابًا.

- وَيحك، اجلس.

نظر لها ثُمّ قال بنبرةٍ مُتلهفة:

- الآن يا ريڤال، أرجوكِ.

تنهدت "ريڤال" وكادت أن تتحدث ولكنه ارتدىٰ ثيابه سريعًا ثُمّ أمسك يدها وخرجا من المنزل وحينما اقتربا دق الوجل قلبه فكان يقدم قدم ويُؤخر أخرىٰ، رمقته بحُنقٍ ثُمّ دفعته من أمامها وطرقت الباب.

- مَنْ؟

- إنه أنا داميانوس.

فتح العم "يُوسُف" فوجد "داميانوس" أمامه يرمقه بتوترٍ وخلفه امرأة تبدُو في الثلاثين من عمرها، دلفا للمنزل وجلسا على الأريكة فكان ينتظر "يُوسُف" من "داميانوس" التحدث ولكن فاهه أبىٰ ذلك.

رمقت "ريڤال" يوسف بهدوءٍ ثُمّ قالت:

- أولًا نعتذر عن مجيئنا بغير ميعادٍ ولكن داميانوس متهور بطبعه، أنا ريڤال خالته ويُسعدني أن أطلب يد بلقيس لداميانوس.

كان "داميانوس" يضع عينيه في الأرض بعد حديثها، بينما "بلقيس" فسمعت بذلك الحديث حينما كادت أن تخرج من غرفتها، فعادت أدراجها وهناك بسمة بلهاء مرتسمة علىٰ شفتيها.

- يُسعدني أن أزوج ابنتي لداميانوس، فهو ذُو خلق ولكن يجب عليّ أن أسألها أولًا.

أومأت له "ريڤال" فوثب من مكانه ودلف غرفة ابنته، بينما "داميانوس" فكان يشعر بالتوتر، حتى نظرت له "ريڤال" وقالت بحنقٍ:

- اهدأ يا ولد، ما هذا العبث؟!

نظر لها بحُنقٍ ولَمْ يُجب، بينما في الداخل كان والدها يقف أمامها وهي تنظر لسقف الغرفة ببلاهةٍ، ضحك عليها ثُمَّ اقترب وقال بنبرةٍ هادئة:

- أعتقد أنكِ سمعتِ ما قيل في الخارج، أموافقة يا بلقيس؟

أطرقت رأسها في خجلٍ ولم تتحدث، فابتسم "يُوسُف" حينما أدرك ما تريده، خرج مِن الغرفة ثُمَّ اقترب منهم وقال ببسمةٍ:

- موافقة.

- يمكننا الزواج بعد أسبوع؟

قالها "داميانوس" بتهورٍ وفي نفس الوقت خرجت "بلقيس" من المطبخ وهي حاملة ثلاثة أكواب من القهوة وبعض قطع الكعك المرصوصة في الطبق بتناغم، أعطت لـ "ريڤال" كوب فابتسمت لها بحنوٍ ثُمَّ أعطت والدها وأخيرًا "داميانوس" الذي أخذه منها بكفٍ مرتعش، جلست بجانب يوسف فسألها عن رغبتها في أتمام الزواج الأسبوع المقبل، نظرت له بصدمةٍ كانت جلية على وجهها ثُمّ نظرت لهم فكانوا متعطشين للإجابة وأكثرهم "داميانوس".

- موافقة.

اتسعت ابتسامة "داميانوس" الذي كان يختلَّس بعض النظرات لها وحينما نظرت له خجل كلٌ منهما وصرف بصره على استحياءٍ، اندمجت " ريڤال " في الحديث مع بلقيس وكانت تقص عليها ما كان يفعله داميانوس حينما كان صغيرًا وتضحك حتى نغزها في ذراعها فصمتت، بعد مرور بعض الوقت رحلا من المنزل، بينما "بلقيس" فقبّلت والدها على وجنته ثُمّ دلفت لغرفتها وهي ترقص حول نفسها ببلاهةٍ شديدة وثغر مُبتسم.

***

بعد مرور أسبوع - فِي قرية أرناتل.

كان بيت "بلقيس" يعج بالفتيات من عمرها وكذلك خالتها وجدتها الغيداءُ، كان المنزل بأكمله مُبتهج والبسمة تعتلي وجوه الجميع، فاليوم ستتزوج ابنة شيخ القرية التي تُلقب بالخَريدةُ، ومعظمهم يناديها بالحَصانُ مِن الفتىٰ الذي اعتنق الإسلام قبل ثلاث سنوات وتشهد قرية أرناتل على خلقه فكان حسن الخلق والهيئة، لا يرتفع بصره علىٰ أيّ فتاة ويتعامل بحدودٍ واضحة، ويقيم بالناس الصلاة حينما يطلب منه العم "يُوسُف" ذلك، ويعلم الشباب أُسس الدين ومبادئه وكذلك الأطفال الصِغار، فكان لهُ فضل كبير عليهم بعد الله فيما وصلوا إليه مِن خُلقٍ ودين.

كانت فِي غرفتها وبجانبها صديقاتها واحدة تدعىٰ "رتيل" والأخرىٰ تُدعىٰ "كارلا".

جلست علىٰ الفراش بعدما انتهت مِن ارتداء ثوبها الأبيض الرقيق، كانت الساعة السابعة مساءً لَمْ يتبقَ سوىٰ ساعة فقط علىٰ أذان المغرب وبعدها سيتم زواجهما في المسجد.

اقتربت منها "رتيل" ثُمَّ قالت:

- هيّا يا بلقيس لترتدي خمارك.

- ليس الآن، ليس الآن.

نظرت لها "كارلا" بتعجبٍ ثُمّ اقتربت وسألتها:

- لِمَ؟ لقد اقترب موعد عقد القرآن!

- أنا خائفة.

ابتسمتا الاثنتان وسألوها بخُبثٍ:

- أليس هو داميَانوس؟ الذي كُنتِ ترهقينا بالحديث عنه، حبيبُ الروحِ وأنيسها، من تكتبين له المراسيل خفية وتضعينها في صندوق بالخزانة؟

لم تجب وكانت نظراتها الحانقة تلاحقهما، فجلست بجانبها "رتيل" ثُمَّ قالت بنبرةٍ هادئة وهي تربت على كتفها:

-لا تدعي خوفكِ يتحكم بكِ يا بلقيس، لقد صليتِ صلاة الاستخارة وارتاح قلبكِ، لو لم يكن خيرًا لما شعرتِ بالراحة صحيح؟ كما أن الجميع يقول أنه ذُو خلق طيب، لا تدعي شيطانك يمنعكِ من السعادة بزواجك.

ابتسمت لها فسألت "كارلا" وهي تأكل بعض الفراولة:

- ألا يوجد عندكم تفاح؟

قذفت "بلقيس" الوسادة في وجهها فتثاءبت الأخرىٰ وكادت أن تنم ولكن اقتربت منها "رتيل" ثُمَّ قالت بحنقٍ:

- أنتِ لا تنامي، تماسكي قليلًا!

نظرت لها بتذمرٍ ثُمَّ أكملت تناول الفراولة، بينما "رتيل" فكانت تساعد "بلقيس" فِي ارتداء الخمار وكانت ثيابها الساترة مذهلة ولكن لم تصمت " كارلا " كالعادة وقالت بتذمرٍ واضح في نبرتها:

- أريد أن أمسك من يقول أن المرأة أجمل بالحجاب ثُمّ أبرحه ضربًا.

قالتها وهي تعقد حاجبيها في حُنقٍ كأنها تستعد لمشاجرة فضحكت "بلقيس" بيأسٍ ثُمّ قالت بنبرةٍ رصينة:

_ المرأة ليست أجمل بالحجاب، الحجاب يخفي جمالها وهذا المطلوب حتى لا يظهر إلا لزوجها، المرأة بفطرتها أجمل، بإظهار مفاتنها تبدو أروع، ثيابها الضيقة وخصلاتها المنسابة على ظهرها، رقتها وتمايلها كطبيعتها الرقيقة الهادئة، مُحال أن تصبح وهي لديها كل ذلك بالحجاب أجمل، إن الحجاب فُرِض للحفاظ عليها وعلىٰ جمالها وفي هذا تقديرًا لها، العفاف والطهر جميلان وهذا ما كانت تتصف به زوجات النبيّ صلّ الله عليه وسلم، وكما قالت بنت المهديّ « نحن نساءٌ مع رجالنا، رجال مع غيرهم.» أيّ أن جمالنا لا يظهر إلا لأزواجنا وأيضًا الكلام بلا حدودٍ مع الجنس الآخر فقط للمحارم، أمَّا غير المحارم فيجب ألا نتعامل معهم إلا للضرورة.

أبتسمتا لها ثُمّ دلفن النسَاء إلىٰ الغرفة بعدما طرقن البَاب وبدأن يرقصن مَع "بلقيس" وهم يمسكن الدُف وهناك أناشيد دينية يقومن بتغنيتها، شاركتهن "كارلا" الرقص بحماسٍ وكذلك "رتيل"، بينما "بلقيس" فكانت ترمقهن بهدوءٍ حتى أخذتها "كارلا" لترقص معهن.

فِي منزل "داميانوس"، كان يقف أمام المرآة وكان يساعده في ارتداء بدلة الزفاف صديقه 'نوح' الذي تعرف عليه بعد شهرين من إسلامه تقريبًا،

انتهىٰ مما يفعله فاقتربت مِنهُ "زيتونة"، فقبّلها حينما دمعت عيناها ثم حملها على ذراعيه وربت على رأسها.

أخذ "نوح" القطة من يديه ثُمّ وضعها على الفراش وقال بحنقٍ لها:

- اجلسي هنا، لن أنفض عنه شعيراتك مرة أخرىٰ.

رمقته "زيتونة" بحنقٍ ثُمّ قالت:

أنت شاب أحمق وغير لطيف.

ضحك "داميانوس" ثُمّ ضربه بخفةٍ على ذراعيه ليكف عن إزعاجها ثُمّ صفف خصلات شعره بهدوءٍ، وأمسك "نوح" العِطر ثُمّ وضعه على صديقه الذي ابتسم له، طرق الباب فأذن للطارق بالدخول.

دلفت "ريڤال" وحينما رأته تسابقت الدموع علىٰ وجهها وقالت بنبرةٍ مبحوحة:

- شكلك جميل يا صغيري.

اقترب منها ثُمّ أمسك يدها وقبلها ثُمَّ ضمها إليه بعدما قال:

- ليس أجمل منكِ يا أُمِي.

قالها وهي تستحق الكلمة؛ لأنها فعلت الكثير والكثير من أجله، تخلت عن عالمها وظلت معه، رفضت الزواج وتركه وحده، كانت تعتني به حينما يمرض وتبقى يقظة حتى يشعر بالتحسن، علمته يكف يتحكم فِي قوته، كيف يبارز بقوةٍ ولا يهاب أحد، "ديليشيا" قامت بوضع الأساس

الذي يقام عليه البناء بينما "ريڤال" فأمسكت الحجر وبدأت في البناء نفسه وكانت تبني "داميانوس"، فعلت الكثير مِن أجله كما كانت تفعل والدته "ديليشيا" رحمها الله، يُحبها ويرىٰ أنها تستحق كلمة أمي بجدارةٍ شديدة، ليس الأُم من تلدنا وترضعنا فقط، بل الأم تعتني، تربي، تضع القيم الأخلاقية والسلُوكية فِي طفلها، لقب الأم لا يجب أن يقال لأي أحدٍ، بل يقال لمن هي أُم بحق!

بكت بين أحضانه بقوةٍ، فشدَّ من ضمه لها ثُمَّ أخرجها من بين أحضانه وقال بحُبٍ:

- لا تبكي يا أُمي، مَنْ مثلكِ لا يجب أن تسقط العَبْرات مِن عينيها، بل تعيش ملكة تُكرم فقط.

ابتسمت له فأزال دموع عينيها بيديه، أخرجت من جيبها شيئًا وقالت بدموعٍ:

- هذا الخاتم خاص بديليشيا، كان معي قبل وفاتها وأخبرتني أن أعطيه لزوجتك حينما تتزوج، رُبما كانت تشعر أنها سترحل...

أخذ الخاتم ثُمّ مرر يديه عليه فابتسم ثُمَّ قال بألمٍ:

- اشتقتُ لكِ يا أمي، ألم يقولوا أن المحب لا ينسىٰ؟، فكيف أنسىٰ أنا محبوبتي الأولى؟

عانقه "نوح" مِنْ الوراء ثُمّ قال بتصنع البُكاء:

- هل يمكنكما التوقف لأنني سأبكي فأنا قلبي هين.

صدحت ضحكاتهما تعانق المكان، ثُمَّ خرج "داميانوس" مِن منزله ومعه "نوح" وكذلك الآخر الذي يُدعىٰ "إسماعيل"، وصل للمسجد فدلف به وحينها أقيمت الصلاة كان يصلي بقلبٍ خاشع وظل يشكر ربه في السجود، أمَّا "بلقيس" والنساء فكن في مصلىٰ النساء في الأعلىٰ.

حينما انتهت الصلاة، بدأ عقد قرانهما، وضع يده في "يوسف" الذي ابتسم له بسمة حنون فبادله الآخر نفس البسمة، كان "نوح" يقف وراءه وهو يربت على كتفه بحنوٍ.

وصل الشيخ للجملة المنتظرة:

« بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما فِي خير»

كان لوقع الجملة أثر حنون على قلب كل منهما، سحب "نوح" المنديل ببسمةٍ، فوثب "داميانوس" ثُمّ عانق "يوسف" طويلًا فقال له الآخر ودموعه محتجزة في عينيه:

- اعتنِ بِها يا بني، فليس لديّ غيرها.

نظر له ثم أشار على عينيه فابتسم "يوسف"، التفت لـ "نوح" ثُمّ عانقه طويلًا وكذلك "إسماعيل" وباقي الشباب، خرج من المسجد ثُمّ اقترب من مصلىٰ النساء ووقف أمام الدرج الخاص به، هبطن جميعًا، فتنحنح من مكانه بينما لم تهبط هي بعد.

_-ستهبط الآن يا داميانوس.

قالتها "ريڤال" ببسمةٍ، فابتسم لها بتوترٍ ثُمَّ عاد لمكان وقوفه ورآها وهي تهبط مِن علىٰ الدرج حتىٰ وصلت أمامه، لم يستطع إنزال بصره عنها كانت كالملاك الصغير في خمارها الأبيض وثوبها الأبيض الرقيق وكانت عينيها السوداء جذابة... بل جذابة جدًا وحاجباها الرفيعان وأنفها الأقنى كوالدها، وجهها الدائري، بشرتها القمحاوية، كل شيء بها كان مُذهل جدًا.

انحنىٰ ثُمّ أمسك يدها فشعر بارتعاش أصابعها بين يديه، وضع بها خاتم والدته ثُمَّ لثم يدها برقةٍ جعلتها تود الفرار مِن أمامه في الحال، اعتدل في وقفته ثُمّ ضواها إليه بحنوٍ، تشبث بها وتشبثت بِه، كلًا مِنهما وجد ملاذه ومأمنه بالآخر، رحل الجميع من حولهم ماعدا الأقارب، أخرجها من عِناقه فنظرت له نظرة المُحِب لحبيبه.

ذهبا لمنزلهما، وحينما وقفا أمام الشقة، عانق "يوسف" ابنته طويلًا فبكت بين عناقه وكذلك بكىٰ هو فراق جزء مَن روحه، من بقت له بعد زوجته الحبيبة سترحل الآن.

خرج من عناقها فقالت له بعين دامعة:

_ اعتنِ بنفسك وداوئك يَا أبي.

اقتربت "كارلا" ثُمّ وضعت يدها على كتف عمها وقالت بمرحٍ:

_ سأعتني به أنا، فليس لديّ غيره الآن بعد وفاة والدي وهو ليس لديه غيري بعد زواجك، صحيح يا يوسف؟

أومأ لها بحنوٍ، فرحلا بعدما عانقت "رتيل" و"كارلا" وكذلك جدتها التي قالت:

_ كوني بخير يا صغيرتي واعتني بنفسك وزوجك جيدًا.

- سأفعل يا جدتي إن شاء الله.

اقتربت "ريڤال" من "بلقيس" ثُمّ قالت بحنوٍ:

- مُبَارك يا بلقيس، أتمنى من الله أن يجعل حياتكم سعيدة ومليئة بالودِ والرحمة.

ابتسمت لها ثُمّ عانقتها وكذلك عانقت "داميانوس" ثُمَّ خرجت من عناقه حينما أتت "ديلان" وزوجها و"كارولينا"، عانق جده وجدته بحفاوة شديدة واكتفى بابتسامة صغيرة لـ"كارولينا" التي بادلته البسمة.

نظر لعائلته وقال بغصةٍ تجمعت في حلقه رغمًا عنه:

هل حان وقت الرحيل؟

أومأت له "ريڤال" ثُمّ قالت ببسمةٍ وهي تحاول عدم البكاء:

_ حان وقت عودتي للوطن يا صغيري.

_ ستأتي من وقتٍ لآخر صحيح؟

_ بالطبع، وهل أملك أحدًا غيرك؟

ابتسم لها ثُمّ ودعها بدموعٍ متلألئة فِي عينيه وفي لمح البصر اختفوا مِن أمامه عائدين لوطنهم.

اقتربت "بلقيس" من زوجها ثُمّ ربتت على كتفه، لقد أخبرها منذ ثلاثة أيام بحقيقته وتقبلته كما هو، تنهدت ثُمَّ قالت بنبرةٍ حانية:

_ لا تحزن يا داميانوس، فقد اعتنت بك وكان يجب عودتها لوطنها، أدت رسالتها وجعلتك شخصًا مسؤولًا.

ابتسم لها ثُمّ عرفها على "زيتونة" التي تحدثت معه فأخبرها بما قالته فوضعت "بلقيس" يدها عليها بحنوٍ ثم قبّلتها، تركا "زيتونة" ثُمّ دلفَا للشقة وحينها حملها على ذراعيه فشهقت "بلقيس" بحدةٍ وحينما دلفا للغرفة أنزلها.

شعرت بالتوتر يُصيبها حينما ولجت للغرفة، اقترب "داميانوس" مِنهَا فلم تتحرك قدماها، ساعدها فِي خلع خمارها بهدوءٍ وحينما خلعته ظهرت خصلاتها السوداء، أدارها له ثُمّ أخرج عُقد ووضعه في عنقها.

قالت بنبرةٍ هادئة تحاول التحكم في توترها وخجلها:

_ يبدُو جمِيلًا.

ابتسم لها ثُمّ قال بنبرةٍ هادئة بعدما نظر للخاتم في يدها:

_ إنه خاتم خاص بأُمي.

ابتسمت له ثُمّ قالت وهي تضع يدها على يده بتوترٍ:

_ رحمها الله.

تمعن في عينيها السوداء وقال بعدما وضع يدها بداخل يده فتعانقت الأيادي كما تعانقت الارواح:

_ لا أُحب الخمر لأنه مُحرم في شريعتنا، ولكن شريعتنا لَمْ تُحرِم خمر عينيكِ رُغم أنهُما أشدُ سُكرًا.

نظرت له بفاهٍ مفتوح فضحك على هيئتها المندهشة، وحينما استوعبت الأمر أطرقت رأسها في خجلٍ ثُمّ قالت:

_ عينيك أجمل.

قالتها بمجاملة صريحة جعلت "داميانوس" يضحك ثُمّ ضواها إليه فوضعت يدها علىٰ ظهره، فقال هو بنبرةٍ مُحبة:

_ أُحبك يا بلقيس.

تواثبت دقات قلبها لتُعلن الحرب عليها، واندفعت حُمرة الخجل لوجهها ثُمَّ قالت:

_ أنا أيضًا أُحبك.

أغمض عينيه وكذلك هي ثم وضعت رأسها على كتفه بسكونٍ وطمأنينة، فلا وجود للخوف وهي معه، انتهىٰ كل شيء مِن ألمٍ وحزن ولكن هُناك شيء وُلد بينهما ولن ينتهي "الحُب".

***

بعد مرور ثلاث سنوات.

كانت هناك ضحكات تصدح فِي الغابة حيث أنهم يجلسون في أرناتل خمسة أيام وفي الكوخ يومين وهما اللذان لا يعمل بهما "داميانوس"، كان يركض خلف ابنته 'خديجة' ذات الشعر الأحمر القصير وبشرتها البيضاء التي يحتلها نمش خفيف فكانت تشبه أباها في ملامحه وحينما وصل إليها حملها ثُمَّ بدأ بدغدغتها فصدحت ضحكاتها بقوةٍ، بينما "بلقيس" فكانت ترمقهم ببسمةٍ حنون وهي تضع يدها علىٰ بطنها البارزة فكانت حبلىٰ في شهرها السابع.

ظهرت "ريڤال" فجأة فركض لها "داميانوس" وهو ممسك بابنته ثُمّ أنزلها أرضًا وعانق خالته طويلًا ثُمّ قال بلهفةٍ:

_ اشتقت لكِ يا ريڤال.

ابتسمت له ثُمَّ حملت الصغيرة على يدها، أتت "بلقيس" ثِمّ عانقتها بحبورٍ، وجلسوا علىٰ العُشب كانت خديجة تتوسط أحضانها، بينما "زيتونة" فكانت تمرح مَع "زيتون" على بُعد ليس بضئيل منهم، و "لُونا" نائمة على الغصن.

كانت "ريڤال" تقُص علىٰ "بلقيس" مغامراتها ومشاكستها مَع "ديليشيا" وغيرها وكانت ضحكات "بلقيس" تزداد علوًا، فـ "ريڤال" كانت مشاغبة منذ صغرها وللحق مازالت.

_ أين زوجك؟

_ مَع أبي، لديهم اجتماع طارئ.

قالتها "ريڤال" ببسمةٍ هادئة، فقد رُزقت بالحب بعدما تركت "داميانوس" ورحلت، وصُدمت حينما اكتشفت أن زوجها كان يُحبها من قبل ولكنه لم يتجرأ في طلب الزواج منها لعلمه بتعلقها الشديد بابن شقيقتها ورفضها للزواج في ذلك الوقت.

_ وابنتك ديليشيا؟

_ مع جدتها في حديقة القصر، كنت سأجلبها معي ولكنها رفضت ترك ديلان.

ابتسم لها "داميانوس" ومرَّ الوقت سريعًا فكان يحمل "خديجة" التي تحاول التملص من بين يديه وبجانبه زوجته وهم ينظرون لـ"ريڤال" التي نظرت له قائلة سؤال تعلم أجابته تمامًا:

_ هل ستأتي لعالم الجنيات؟

نظر لابنته على ذراعه ثُمّ نظر لزوجته ولبطنها البارزة وأجابها بنبرةٍ حنون:

_ لا أعتقد هذا، إن وطني الحقيقي هُنا بجانب موطني.

كان يقصد بحديثه زوجته وابنته، ابتسمت له "ريڤال" ثُمَّ قالت وهي تستعيد نفس الموقف مع والدته:

_ أسعدك الله يا بُنيّ، أخبرتك من قبل أنك تضاهيها بشكلٍ مُخيف.

ابتسم لها ثُمّ ترحم على والدته، فهبت رياح باردة للغاية، وعلىٰ حين غفلة كانت "ريڤال" اختفت فقد عادت إلىٰ عائلتها هناك حيث تنتمي على وعدٍ بزيارتهم الأسبوع المقبل مع العائلة بأكملها، ليقضوا يومًا ممتعًا وسيأتي "يوسف" أيضًا.

رمق رحيلها بامتنانٍ لكل ما فعلته معه ثُمَّ وضع يده اليُمنىٰ حول خصر "بلقيس" وضواها إليه ثُمّ قال بعدما اختلَّس قُبلة مِن وجنتها اليُمنىٰ:

_ أحبك يا فراولة.

اختار ذلك اللقب خصيصًا ليُذكرها بأول مرةٍ جاءت له السوق وطلبت منه الفراولة.

ضحكت ثُمّ قالت وهي تقبل ابنتهما:

_ أنا أيضًا أُحبك يا داميانوس.

رمقها بحُنقٍ شديد ثُمَّ قال:

_ أنا مَنْ يجب تقبيله على وجنته هنا!

ضحكت ثُمّ سبقتهما للكوخ وكانت تنظر لهُ بعبثٍ، ابتسم بيأسٍ ثُمّ دلف وراءها وأمامه ابنته تتعثر فِي خطاها وهي تلحق بوالدتها وحينما وصلت حملتها ثُمّ دغدغتها فضحكت، اقترب منهما "داميانوس" ثُمّ وقف بجانبهما وقبل وجنة ابنته المُكتنزة التي يبدُو أنها سترث قوة جدتها وأباها ثُمّ لثم وجنة زوجته الحنونة، لا أحد أحن مِن الحبيب علىٰ المحبوب، فقد كان "داميانوس" أحن عليها مِن نفسها وكانت هي أحن عليه من

نفسه وكل مِنهما كَان يُكمل الآخر بالحُب والحنان، فبالحنان والحب والرحمة كُل شيء يهُون فكن حنونًا ورحيمًا يرحمك الله.

"لا شيء أغلىٰ من العائلة، مهما كان لديك شيء عظِيم فلا يستطيع منافسة العائلة، العائلة هي الشيء الوحيد الغير قابل للاستبدال، بأحاديثهم الدافئة يغمر الدفء أضلعنا، وحديث مضحك ورؤية ضحكاتهم يجعلنا ننسىٰ حُزننا، العائلة هي كل شيء ولا معنىٰ للحياة بدون وجود العائلة."

تمت بحمد الله